مـوسـولينى

الطاغية العاشق

بين حلم الإمبراطورية.. والنهاية المأساوية!!

عصام عبد الفتاح



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد
اســم الكتاب : موسوليني الطاغية العاشق بين حلم الإمبراطورية.. والنهاية المأساوية!!
المــــــؤلف : عصام عبد الفتاح
رقــم الإيداع :
الترقيم الدولي :

الطبعة الأولى ٢٠١٠

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_5@yahoo.com

مقدمة

هل يجد الطغاة وقتاً للحب؟

بل: هل يعرفون الحب أصلاً؟

سؤال يحتاج في الإجابة عنه إلى إعادة النظر في كل قواعد ونظريات علم النفس..

فالقاعدة أن كل تلك النظريات تقول : (لا)..

لكنه مع موسولوينى لا يحتمل إلا إجابة واحدة.. وهى (نعم)..

فلكل قاعدة استثناء..

والاستثناء هذه المرة مع اسم يثير الرعب كلما ورد ذكره..

طاغية رحل بجسده.. ولكن سيرته.. والجدل القائم حول شخصيته مازالا قائمين.. ويشغلا بال الكثيرين في جميع أنحاء العالم.. خاصةً الكتاب.. والمؤرخين.. والباحثين الذين يتعقبون سيرته بالتفصيل والتحليل..

وبمرور الزمان أصبح اسم موسوليني ذلك الوحش الدموي هو أحد أهم الأسماء المرادفة لكل رعبٍ ورهبة تسري في قلوب كل من يسمعه سواء أكان رجل شارع عادي لا يعرف عن حقيقة الرجل شيئاً.. أو قارئ عرف عن طغيانه أشياء.. وليس موسوليني وحده.. فهناك هتلر.. ونيرون[٢] جميعهم كانوا طغاة.. مقلقلين نفسياً.. قتلوا الملايين.. ودمروا بلادهم!

وبداية موسولينى كانت في بيئة فقيرة ومتواضعة جداً.. وما كان أحد يتوقع له كل هذا المجد.. بل وما كان أحد يظن أنه سيصبح زعيم إيطاليا الأوحد لاحقاً.. وذلك لأنه عادة كان القادة السياسيين الإيطاليين ينتمون إلى طبقات بورجوازية وغنية في معظمهم..

وعلى سبيل الوضع المؤقت قبلت النخبة الحاكمة بموسوليني لكي يخدم مصالحهم.. معتقدين أنهم قادرون على التخلص منه لاحقاً.. ولكنهم كانوا واهمين.. فهو الذي تخلص منهم واحداً وراء الآخر.. وحكم إيطاليا بيدٍ من حديد سنوات طويلة.. واستطاع بزعامته وشخصيته المؤثرة أن يصبح رمزاً للدولة.. ويمسك بيديه كل مقاليد السلطة.. وأن يحكم إيطاليا مدة ٢١ عاماً.. وحتى سقوطه في نهاية الحرب العالمية.. لتأتى نهايته مأسوية لاتتناسب مع ما حققه من مجدٍ مبنى على الديكتاتورية في أقسى صورها.

فبعد كل هذا السلطان والجاه.. دارت الأيام ليتخفى الدوتشي- في زى غير زيه.. ويحاول الهرب في شاحنة خائفاً.. مذعوراً كالفأر.. وهو الرجل الذى لم يعرف الخوف يوماً في حياته.. ثم يُجرُ إلى المحاكمة جراً.. ليُحكم عليه هو و عشيقته بالإعدام.

والحديث عن موسوليني يطول.. وكل فصلٍ من فصول حياته يحتاج لمؤلفات.. وهو طفل مشاكس.. مشاغب.. ثم وهو مراهق طريد.. ثم وهو مُنظِر وخطيب سياسي شعبي.. ووصوله لرئاسة الوزراء بإيطاليا.. ثم مده لبساط الفاشية فى بلاده.. ومغامراته العاطفية.. ووصولاً لنهايته الدرامية.. هو وعشيقته كلارا التي قضت أجمل أيام حياتها في أوج عظمته.. لكن جاء إعدامهما معاً ليضع نهاية لتلك القصة التى سيظل التاريخ يذكرها.. ومازال كل يومٍ يُكتشفُ الجديد في حياة ذلك الرجل الذى أثار ومازال الكثير من الجدل.

وهيا معاً لنرى التاريخُ وهو يملأ دواته بحبر من شلالات دماء سوف يسكبها هذا الطاغية.. ويُمسكُ بيده الأخرى ريشة الكتابة.. ليخط صفحةً شديدة الأهمية.. والخصوصية في تاريخ إيطاليا.. ونقرأ تفاصيلها معاً من خلال الصفحات.. والفصول القادمة لهذا الكتاب.

عصام عبد الفتاح

elbtrawy@yahoo.com

تمهيد

إيطاليا..تاريخ وجغرافيا.:

دوماً كانت إيطاليا تحتل مشهد الصدارة في مسرح التاريخ..

سياسياً: أهدت للبشرية أهم حضارات التاريخ وهى الحضارة الرومانية..

عسكرياً: حَكَمَت العالم في أقصى اتساع جغرافي موحد شهده التاريخ..

دينياً : يوجد بها الفاتيكان.. تلك المؤسسة الدينية التى تتبعها أكبر جماعات دينية في العالم وهى المسيحية.

ثقافياً : على الرغم من التميز السياسي والاجتماعي لهذه المناطق فإن المساهمات الإيطالية في التراث الثقافي والتاريخي لأوروبا والعالم كان.. ولا يزال هائلاً.. فإيطاليا هي موطن لأكبر عدد من مواقع التراث العالمي لليونسكو حتى الآن.. وتمتلك مجموعة غنية من الفن والثقافة والأدب من فترات مختلفة.

كما امتلكت إيطاليا تأثيراً ثقافياً واسعاً في جميع أنحاء العالم.. يرجع ذلك أيضاً إلى وجود مهاجرين طليان هاجروا إلى بلدان أخرى خلال الشتات الإيطالي.. يوجد في إيطاليا عموماً ما يقدر بنحو مائة ألف أثر من أهم أنواع الآثار في العالم.. وأكثرها قيمة.. وتتنوع ما بين متاحف.. وقصور.. ومباني.. وتماثيل وكنائس.. ومعارض فنية.. وغيره من المواقع الأثرية.. ذات الطرز المعمارية المختلفة من النمط الكلاسيكي الروماني.. إلى اليوناني.. والقوطي.. وما ينتمى منه لعصر النهضة.. والفن الحديث والمعاصر.

ومن أشهر ما تمتلكه إيطاليا البانثيون.. والكولوسيوم.. وبرج بيزا المائل.. وكاتدرائية ميلانو.. وكاتدرائية فلورنسا.. وكنيسة سانتا ماريا دي ماجيوري.. وبرج بيريللي.

أصل التسمية :

وتسمية إيطاليا كان أصلها لاتيني (ايتاليا).. أما مصدر التسمية اللاتينية فهو غير مؤكد.. وفقاً لأحد التفسيرات الأكثر شيوعاً فإن التسمية مستعارة من الإغريقية من الاسم الأوسكاني فيتيليو Víteliú والتي تعني «أرض الماشية اليافعة» وباللاتينية (vitulus) «عجل» أو (بالأومبرية vitlo) حيث كان الثور رمزاً لقبائل جنوب إيطاليا وكان يصور في كثير من الأحيان ناطحاً الذئب الروماني كرمز تحدي لحرية إيطاليا خلال الحروب السامنية.

أطلق الاسم إيطاليا في الأصل على جزء مما هو الآن جنوب إيطاليا.. وهو الجزء الجنوبي من شبه جزيرة بروتيوم[1] لكن في وقته كانت إينوتريا وإيطاليا مترادفتين كما ينطبق الاسم على معظم لوكانيا كذلك.. وقد أطلق الإغريق تدريجياً اسم «إيطاليا» على منطقة أوسع ولكن التسمية لم تشمل كامل شبه الجزيرة حتى زمن الفتوحات الرومانية.

وتقع دولة إيطاليا فيما يسمى بشبه الجزيرة الإيطالية في جنوب أوروبا على أكبر جزيرتين في البحر الأبيض المتوسط وهما صقلية وسردينيا.. وعدداً من الجزر.. وعلى الرغم من أن البلاد تشغل شبه الجزيرة الإيطالية وأغلب جنوب حوض جبال الألب فإن بعض الأراضي الإيطالية تتجاوز حوض جبال الألب.

بينما تقع السواحل الإيطالية بعضها على البحر الأدرياتيكي.. والبحر الأيوني.. والبحر التيراني.

(١) كالابريا حالياً.

الحدود:

تتقاطع حدود إيطاليا مع كلٍ من:

- فرنسا ويبلغ طول الحدود معها (٤٨٨ كم).
- النمسا ويبلغ طول الحدود معها (٤٣٠ كم).
- سويسرا ويبلغ طول الحدود (٣٩ كم).

جبال الأبينيني تشكل العمود الفقري لشبه الجزيرة.. وتشكل جبال الألب الحدود الشمالية.

يتدفق نهر البو وهو أطول أنهار إيطاليا من جبال الألب على الحدود الغربية مع فرنسا.. ويعبر سهل بادان في طريقه إلى البحر الأدرياتيكي..

ويوجد داخل الأراضي الإيطالية دولتان مستقلتان هما كليداتان سان مارينو ومدينة الفاتيكان.

وتعتبر إيطاليا هي سادس دولة من حيث عدد السكان في أوروبا. وتحل في المرتبة ٢٣ الأكثر تعداداً سكانياً في العالم.

ومن قديم الأزل كانت إيطاليا مهداً للثقافات. والشعوب الأوروبية مثل الإتروسكان والرومان.. كما كانت العاصمة الإيطالية روما لقرون عديدة هى المركز السياسي للحضارة الغربية باعتبارها عاصمة للإمبراطورية الرومانية.

وبعد تراجع الإمبراطورية تعرضت إيطاليا لغزوات من قبل شعوب أجنبية من القبائل الجرمانية مثل القوط الشرقيين[٣] واللومبارديين[٤] وشعب النورمان. في وقت لاحق والبيزنطيي وغيرها.

وبعد عدة قرون أصبحت إيطاليا مهد النهضة والتي كانت حركة فكرية مثمرة جداً أثبتت قدرتها على تشكيل مسار الفكر الأوروبي لاحقاً.

إعادة الولادة:

وخلال أغلب تاريخ إيطاليا فيما بعد حقبة الحضارة الرومانية.. كانت إيطاليا مجزأة إلى العديد من الممالك ودول المدن.. ولكن تم توحيد البلاد في عام ١٨٦١ بعد فترة مضطربة في تاريخ البلاد تعرف باسم «إعادة الولادة».

ومن أواخر القرن التاسع عشر- وخلال الحرب العالمية الأولى حتى الحرب العالمية الثانية تحولت إيطاليا إلى إمبراطورية استعمارية.. حيث امتد حكمها إلى ليبيا وإريتريا والصومال الإيطالي وإثيوبيا وألبانيا ورودوس ودوديكانيسيا وامتياز في تيانجين في الصين.

ودوماً كان الشعب الإيطالي يتمتع بمستوى معيشة عالٍ جداً.. ودوماً كانت إيطاليا تلعب دوراً عسكرياً وثقافياً ودبلوماسياً بارزاً في أوروبا والعالم

كما أن نفوذ البلاد السياسي والاجتماعي والاقتصادي على الساحة الأوروبية جعلها قوة إقليمية كبرى جنباً إلى جنب مع المملكة المتحدة وفرنسا وألمانيا وروسيا.

وكانت روما القديمة في البداية مجتمعاً زراعياً صغيراً.. لكنها نمت على مر القرون لتصبح إمبراطورية هائلة تشمل معظم دول حوض البحر الأبيض المتوسط .. وبالتالي دمجت الحضارتان الإغريقية والرومانية في حضارة واحدة.. وكانت هذه الحضارة مؤثرة للغاية حيث لا تزال أجزاء منها باقية كثوابت تاريخية مؤثرة في القانون والإدارة والفلسفة والفنون المعاصرة والتي تشكل الأرضية والأساس الذي تقوم عليه الحضارة الإنسانية في الغرب ومعظم دول العالم.

وحتى وصول موسولينى للحكم.. وخلال حوالي ١٢ قرناً قبلها تحولت إيطاليا من ملكية.. إلى جمهورية.. ثم انقسمت في النهاية إلى شطرين :

- الإمبراطورية الرومانية الغربية..
- والإمبراطورية البيزنطية في الشرق.

انهار الجزء الغربي تحت ضغط القوط في نهاية المطاف.. وترك شبه الجزيرة الإيطالية مقسماً إلى ممالك صغيرة مستقلة ودول مدن متناحرة خلال القرون ١٤ القادمة.. وتركت بذلك الشطر الشرقي وريثاً وحيداً للتركة الرومانية.

وخلال أواخر العصور الوسطى قُسِمت إيطاليا إلى ولايات ودول ومدن أصغر حيث سيطرت مملكة نابولي على الجنوب وجمهورية فلورنسا والولايات البابوية على المركز وجنوة وميلانو في الشمال والغرب والبندقية في الشرق وتعاقب عليها العديد من نظم الحكم .

إيطاليا وعصر النهضة:

سمحت البنية السياسية الفريدة من نوعها في إيطاليا في أواخر العصور الوسطى.. والمناخ الاجتماعي الحيوي.. والتجارة المزدهرة بنمو ثقافي فريد.. لكن لم تستعد إيطاليا أبداً وحدة ترابها كما كانت أيام الإمبراطورية الرومانية.. وفي القرن الخامس عشر كانت إيطاليا واحدة من أكثر المناطق تحضراً في أوروبا.

يتفق معظم المؤرخون على أن الأفكار التي اتسم بها عصر النهضة والمدافعون الأوائل عنها وأنصارها تعود أصولها إلى أواخر القرن الثالث عشر في فلورنسا أو ما حولها فضلاً عن غيرها من دول المدن المتنافسة.. وظهرت خلاصة النهضة في كتابات دانتي أليجيريوفرانشيسكو بترارك .. وبوكاتشيو .. فضلاً عن لوحات الرسامين الكبار.

وبداية مع جيوتو دي بوندوني كان عصر النهضة فترة مهمة للغاية في التاريخ الإيطالي وفي التاريخ الأوروبي وقدم العديد من الإصلاحات السياسية والفلسفية والأدبية والثقافية والاجتماعية والدينية.

لماذا عصر النهضة؟

سُمي عصر النهضة بهذا الاسم لأنه كان «نهضة» أى نهوض من تحت قِباب الأفكار التقليدية الراسخة منذ أمد بعيد في غياهب الفكر البشري القديم.. والانطلاق إلى رِحاب حرية التفكير.

أما لماذا بزغت شمس النهضة من إيطاليا يالتحديد فيقول البعض بأن ترجمة النصوص اليونانية والعربية إلى اللاتينية من العالم الإسلامي وجدت طريقها أولاً إلى إيطاليا لتصنع من هناك جدائل النهضة الإيطالية والأوروبية.

أو يمكننا القول أن وقود هذه الولادة الجديدة كان يتمثل في إعادة اكتشاف النصوص القديمة التي كانت الحضارة الغربية قد «أضاعتها» تقريباً.. ولكن تم الحفاظ عليها في بعض المكتبات الرهبانية.. أو المكتبات الخاصة بالعائلات الحاكمة.. وكل ذلك كان هناك فقط في إيطاليا .

عموماً أياً كان السبب فإن معظم هذه المخطوطات كان إما في شبه الجزيرة الإيطالية. أو في اليونان. ونُقلِت إلى إيطاليا في القرون التي سبقت عصر النهضة من قبل الإيطاليين أنفسهم. خاصةً التجار الذين سافروا بشكل منتظم إلى شرق البحر الأبيض المتوسط بما في ذلك اليونان. واليونانيون البيزنطيون الذين فروا إلى إيطاليا هرباً من الزحف العثماني في القرن الخامس عشر- خاصة بعد ١٤٥٣ وسقوط القسطنطينية.. حيث هاجر هؤلاء البيزنطيون حاملين في بعض الأحيان مخطوطات ثمينة.. وفي عقول الكثير منهم معارفهم الإغريقية القديمة. وساهموا بشكل حاسم في النهضة الإيطالية أثناء وجودهم في البلاد.

فجاب باحثو عصر النهضة المكتبات بحثاً عن أعمال المؤلفين الكلاسيكيين مثل أفلاطون وشيشرون . وغيرهم.. وانتشرت الأعمال القديمة اليونانية والهلنستية لكل عظماء الماضي من مفكرين.. وفلاسفة من الإغريق والعلماء المسلمين.. ووفر كل ذلك مواد فكرية جديدة للباحثين الأوروبيين.

وعادت إيطاليا مرة أخرى لتكون مركزاً للحضارة الغربية التي أثرت بقوة على الدول الأوروبية الأخرى بوجود بلاط إستي الملكي في فيرارا ودي ميديشي- في فلورنسا.

أصبحت فلورنسا مركز عصر النهضة الإيطالية الرئيسي... حيث عمل العديد من الفنانين مثل مايكل أنجلو وليوناردو دا فينشي- وبوتيشيلي في المدينة.. وازدهر اقتصاد المدينة. ووفقاً للموسوعة البريطانية كانت فلورنسا بين القرنين ١٤-١٦ واحدة من أعظم مدن أوروبا.ووصفت المتاحف والكنائس والقصور العديدة مثل قصري بيتي و أوفيزي بأنها أعمال فنية بحد ذاتها.

تأثرت روما أيضاً بشكل خاص بعصر- النهضة.. وصلت ذروة روعتها تحت حكم البابا يوليوس الثاني[١] وخلفائه ليو العاشر وكليمنس السابع وكلاهما من عائلة ميديشي.

وخلال عشرين عاماً فقط أصبحت روما واحدةً من أكبر المراكز الفنية في العالم.. وخسرت روما في إطار هذه الحملة طابعها الديني لتصبح على نحو متزايد مدينة النهضة الحقيقية لكنها ازدهرت اقتصادياً بشكلٍ كبير.

(١) يوليوس الثاني ولد باسم جوليانو ديلا روفيري عاش بين تاريخي(٥ ديسمبر ١٤٤٣ – ٢١ فبراير ١٥١٣) وهو البابا السادس عشر بعد المئتين للكنيسة الكاثوليكية من سنة ١٥٠٣ وحتى وفاته.. يعرف باسم «البابا المحارب».. أحد أشهر باباوات عصر النهضة.

وبعد قرن من الزمان نجحت فيه الدول والإمارات الإيطالية في الحفاظ على استقلال نسبي وعلى توازن القوى في شبه الجزيرة.. افتتح الملك الفرنسي- شارل الثامن[1] في ١٤٩٤ سلسلة غزوات دامت حتى منتصف القرن السادس عشر- حيث تنافست فرنسا وأسبانيا للسيطرة على إيطاليا.. وفي نهاية المطاف سيطرت أسبانيا بموجب معاهدة (كاتو – كامبراسيس) [2]على إيطاليا لما يقرب من قرنين من الزمان.

وخلال حكمها الطويل لإيطاليا نهبت الإمبراطورية الإسبانية البلاد بشكل منتظم وفرضت على الإيطاليين ضرائب ثقيلة.. كما تدخلت في أمور الفاتيكان.. وأحكمت قبضتها على شؤونه.. وعلاوة على ذلك كانت الإدارة الإسبانية بطيئة وغير فعالة.. وعلى المدى الطويل كانت آثارها الاجتماعية سيئة للغاية .

النمسا:

خلفت النمسا أسبانيا في الهيمنة على إيطاليا بعد معاهدة أوترخت وبعد أن حصلت على دولة ميلان ومملكة نابولي.. وأدت الهيمنة النمساوية بفضل التنوير الذي تبناه أباطرة هابسبورج إلى تحسين الوضع إلى حد ما.. فحصل الجزء الشمالي من إيطاليا الواقع تحت السيطرة المباشرة لفيينا على نشاط اقتصادي وتحفيز فكري.. وأصبحت المدن الإيطالية الرئيسية مثل ميلانو وروما وتورينو والبندقية وفلورنسا ونابولي أرضاً خصبة للنقاش الفكري..

(١) شارل الثامن (٣٠ يونيو ١٤٧٠ – ٧ أبريل ١٤٩٨) ملك فرنسا من سلالة فالوا من عام ١٤٨٣ حتى ١٤٩٨.. خاض منذ بداية توليه السلطة سلسلة طويلة من الحروب بين فرنسا وإيطاليا ميزت بقوة الاهتمام بايطاليا في النصف الأول من القرن السادس عشر.

(٢) تم توقيعها في ١٥٥٩ واعترف بموجبها على سيطرة الإسبان على دوقية ميلانو ومملكة نابولي.

حيث نشط العديد من الفلاسفة الطليان والشخصيات الأدبية في ذلك الوقت مثل سيزاري ميلانو.. وأنطونيو جينوفيزي.. وألغى ليوبولد الأول أو المعروف أيضاً باسم ليوبولد الثاني من الإمبراطورية الرومانية المقدسة عقوبة الإعدام والتعذيب في دوقية توسكانا.

محطة ثقافية وفنية:

خلال القرن ١٨ كانت إيطاليا أحد المراكز الرئيسية للجولة الأوروبية الكبرى التي كان يقوم بها الأرستقراطيون الأجانب لزيارة الفن والثقافة الإيطالية.. ومع اكتشاف آثار بومباي وهركولانيوم عام ١٧٤٨ وترميم المعالم الأثرية القديمة في روما.. أصبحت مدن مثل روما والبندقية مناطق جذب رئيسية .. وقال كيتس عنها: «إن إيطاليا هي جنة المنافي».

انعكاسات الثورة الفرنسية:

أثارت الثورة الفرنسية والحروب النابليونية[1] خلال الفترة من (١٨١٥:١٧٩٦) أفكار المساواة والديمقراطية والقانون والقومية واعتنقها ودعمها العديدون في إيطاليا لاعتقادهم ببناء الوحدة الوطنية في إيطاليا.. هذه الوحدة الوطنية أو إنشاء إيطاليا الحديثة لم تحدث حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

(١) الحروب النابليونية هي سلسلة من الحروب التي وقعت بين الدول الأوروبية خلال فترة حكم نابليون بونابرت لفرنسا.. والتي لعبت الثورة الفرنسية (١٧٨٩) دوراً كبيراً بإثارة شرارتها.. لا يوجد إجماع بين المؤرخين على تحديد موعد معين لبدء تلك الحروب.. فالبعض يقول أنها بدأت مع= =تولي الجنرال بونابرت لمقاليد الحكم في فرنسا في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٧٩٩.. والبعض الآخر يقول بأن حروب الثورة الفرنسية استمرت حتى عام ١٨٠٢ حيث أعقبتها فترة قصيرة من السلام بفضل معاهدة أميان.. ولكن في العام التالي (١٨٠٣) جاء إعلان الحرب بين فرنسا والمملكة المتحدة كنقطة بداية للحروب النابليونية.. أما نهاية تلك الحروب فكانت بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٨١٥ بعد هزيمة نابليون في معركة واترلو وتوقيع معاهدة باريس في نفس العام.

توحيد إيطاليا ورجوع العهد الملكي:

كان إنشاء مملكة إيطاليا نتيجة لجهود القوميين الإيطاليين والملكيين الموالين لعائلة سافوي لتأسيس مملكة متحدة تضم كامل شبه الجزيرة الإيطالية.. واندلعت أولى الحروب ضد النمسا في سياق ثورات ١٨٤٨ الليبرالية التي اجتاحت أوروبا لكنها انتهت بالفشل.

قاد جوزيبي جاريبا حملة التوحيد في جنوبي إيطاليا وهو ذو شعبية كبيرة في تلك المنطقة.

بينما قادت حكومة النظام الملكي لمملكة (سردينيا – بيدمونت) حركة التوحيد في الشمال الإيطالي بقيادة كاميلو بينزو. وكونت كافور. ونجحت المملكة في تحدي الإمبراطورية النمساوية في حرب الاستقلال الإيطالية الثانية بمساعدة من نابليون الثالث محررة في نهاية الحرب لومبارديا وفينيشيا.. وكانت تورينو عاصمة للدولة الحديثة.. ولكن في عام ١٨٦٥ نقلت العاصمة إلى فلورنسا.

من فلورنسا إلى روما:

في عام ١٨٦٦ وضع فيكتور إيمانويل الثاني مملكته في صف مملكة بروسيا خلال الحرب البروسية النمساوية.. وشن حرب الاستقلال الإيطالية الثالثة والتي انضمت في نهايتها البندقية إلى المملكة.

وبحلول عام ١٨٧٠ ومع تدهور موقف فرنسا في الحرب الفرنسية البروسية (تخلت فرنسا عن مواقعها في روما مما سمح للمملكة الإيطالية بملء الفراغ والاستيلاء على الدولة البابوية من السيادة الفرنسية.

وأخيراً تحقق حلم توحيد إيطاليا بضم روما. وبعد ذلك بوقت قصير تم نقل العاصمة الإيطالية من فلورنسا إلى روما. واحتفظ بالنظام الملكي كواجهة فقط بينما أصبح نظام الحكم برلمانياً يديره الليبراليون.

إيطاليا قوة استعمارية:

ثم تحولت إيطاليا إلى قوة استعمارية في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر. حيث سيطرت على الصومال وإريتريا وليبيا ودوديكانيسيا.. وخلال الحرب العالمية الأولى التزمت إيطاليا في البداية الحياد.. ولكنها وقعت في عام ١٩١٥ اتفاقية لندن ودخلت الوفاق بناء على وعد بالحصول على مناطق ترينتو وتريستي وإستريا ودالماسيا وأجزاء من الإمبراطورية العثمانية.. وفقدت إيطاليا خلال تلك الحرب حوالي ٦٠٠ ألف من مواطنيها.. وانهار الاقتصاد تماماً.

انتصار مشوه:

وبموجب معاهدة السلام في سان جيرمان حصلت إيطاليا فقط على بولزانو – بوزن وترينتو وتريستي وإستريا في انتصار وصفه العامة بأنه «مشوه».

وأدت الاضطرابات التي أعقبت دمار الحرب العالمية الأولى إلى انتشار الفوضى مستوحاة من الثورة الروسية.

أما القوى الليبرالية ولخوفها من ثورة اشتراكية في البلاد فقد بدأت بتأييد الحزب الصغير الذى كان قد بدأ يبزغ نجمه آنذاك.. وهو الحزب الوطني الفاشي بقيادة بينيتو موسوليني.

إيطاليا جمهورية:

وبعد إقصاء موسوليني .. وسقوط الملكية.. تحولت إيطاليا إلى النظام الجمهوري.

وتدور سياسة إيطاليا في إطار النظام الجمهوري البرلماني الديمقراطي متعدد الأحزاب.. حيث يمارس مجلس الوزراء السلطة التنفيذية.. ويقوده رئيس الوزراء أو كما يسمى بالإيطالية «بريمو مينيستيرو».

أما السلطة التشريعية فهي بيدي مجلسي البرلمان في المقام الأول.. ومجلس الوزراء ثانياً.

أما السلطة القضائية فهي مستقلة عن السلطتين التنفيذية والتشريعية.

هذا التحول الذي حدث بعد سقوط موسوليني.. وانتهاء الحرب العالمية الثانية بوقتٍ وجيز.. وتحديداً منذ ٢ يونيو ١٩٤٦ أصبح نظام الحكم في إيطاليا جمهورياً ديمقراطياً.. وذلك بعد إلغاء النظام الملكي في استفتاء شعبي.. وصدر الدستور متضمناً ذلك التغيير في الأول من يناير عام ١٩٤٨.

رئيس الجمهورية:

وبناءً على صدور الدستور أصبح يتم انتخاب رئيس الجمهورية لمدة سبع سنوات من جانب البرلمان.. بالاشتراك مع عدد قليل من مندوبي الأقاليم.. ويمتلك الكثير من الحقوق التي كانت سابقاً من اختصاص الملك.. ويعد الرئيس بمثابة نقطة اتصال بين فروع السلطة الثلاثة.. ويُعين السلطة التنفيذية.. وهو رئيس السلطة القضائية.. وهو أيضاً القائد العام للقوات المسلحة.. ويقيم في القصر الكويرينالي وهو مقر الإقامة الرسمي لرئيس الجمهورية الإيطالية.

كما يُعين الرئيس رئيس الوزراء الذي يختار الوزراء الآخرين .. ويجب على مجلس الوزراء الحصول على تصويت الثقة من مجلسي البرلمان.

مجلسي البرلمان:

تنتخب إيطاليا برلماناً من مجلسين هما :

- مجلس النواب الذي يضم ٦٣٠ عضواً ..
- ومجلس الشيوخ الذي يضم ٣١٥ عضوا منتخباً.. وعدداً قليلاً من أعضاء مجلس الشيوخ لمدى الحياة .

وقد يبرز تشريع ما في أي من المجلسين.. ولاعتماده يجب أن يصدر بصيغة متطابقة. وبأغلبية كل منهما. ويتم انتخاب مجلسي- البرلمان شعبياً. ومباشرةً من خلال نظام انتخابي معقد يجمع بين التمثيل النسبي مع جائزة لأكبر أغلبية ائتلافية.

ويمكن لجميع المواطنين الإيطاليين ابتداء من عمر ١٨ سنة التصويت. مع ذلك فإنه بالنسبة للتصويت لمجلس الشيوخ فيجب على الناخب أن يكون عمره ٢٥ عاماً أو أكثر.

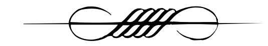
ويستند النظام الانتخابي لمجلس الشيوخ على التمثيل الإقليمي.. فهناك سبعة أعضاء مجلس الشيوخ مدى الحياة.

ينتخب كلا المجلسان لمدة أقصاها خمس سنوات ..ولكن يمكن للرئيس حلهما قبل انتهاء فترة ولايتهما العادية إذا كان البرلمان غير قادر على انتخاب حكومة مستقرة.

القانون:

يقوم النظام القضائي الإيطالي على القانون الروماني معدلاً بقانون نابليون والقوانين اللاحقة. ومحكمة النقض العليا هي الملاذ الأخير بالنسبة لمعظم النزاعات.. أما المحكمة الدستورية في إيطاليا فتحكم في مطابقة القوانين للدستور وأنشئت في البلاد ما بعد الحرب العالمية الثانية.

إلى هنا تحدثنا في عجالة سريعة عن إيطاليا عبر التاريخ .. وقبل وصول موسوليني للحكم.. وكان ذلك تمهيدًا موجزًا لابد منه حتى نتفهم طبيعة الحياة السياسية التي خرج منها. وعاش فيها موسوليني . ثم أثره السياسي فيما بعد على بلاده. والآن نتحدث عن سيرته وحياته وأعماله من خلال الفصول القادمة .



١- موسوليني بورتريه بريشة الكلمات

ببينيتو موسوليني من مؤسسي الحركة الفاشية الإيطالية وأحد أهم زعمائها.. وكان حاكم إيطاليا وطاغيتها الأشهر في العصر الحديث.. حكم بلاده خلال الفترة ما بين عامي ١٩٢٢ و١٩٤٣.

كان خلال فترة حكمه هو كل شيءٍ في بلاده.. رئيسها الفعلي.. ورئيس وزرائها.. وفي بعض المراحل وزير الخارجية والداخلية.. سماه الإيطاليون بـ(الدوتشة) وهى باللغة الإيطالية تعنى (القائد).

إرهاصات ديكتاتور:

كل ما جرى لموسولينى في بداياته كان ينبئ بولادة ديكتاتور.. وطاغية.. وشواهد ذلك واضحة من طفولته.. وبداياته الأولى.. ويرجع الباحثون سبب ذلك لحالة الفقر الشديد الذي كان يعاني منه وهو طفل.. وحقده على الأغنياء.. ونستطيع أن نحدد سماته الشخصية كإنسان وزعيم من خلال السطور القادمة:

مشاغب منذ طفولته:

عندما كان طفلاً كان همجيًا ومتهورًا.. ومُنِعَ من دخول الكنيسة لسوء سلوكه.. فكان يرمي رواد الكنيسة بالحجارة.. اضطرته ظروف أسرته الفقيرة إلى دخول المدرسة متأخراً.. لم يكن كثير الكلام ولكنه كان يجيد استعمال قبضته.. عندما كان في الثامنة من عمره كان قد اعتاد السرقة.. والشجار الدائم مع بقية أقرانه.. وكذلك كان دائم المشاكل في المدرسة حتى أنه طُرِدَ ذات مرة من مدرسته لطعنه زميلٍ له بالسكين في بطنه.. وأطلق عليه أقرانه الأطفال في بلدة كانيفا الصغيرة اسم «الطاغية» لأنه كان دائم السباب.. وشتمهم.. وتهديدهم.. وينفعل دوماً فيضرب المنضدة بقبضة يده لإرهابهم..

والغريب أنه رغم ذلك كان يحصل على درجات مرتفعة.. فقد كان يملك القدرة على سرعة التحصيل والحفظ..

وكان يميل إلى القراءة.. والإطلاع لتثقيف نفسه.. وقيل أنه كان لا يمل من قراءة الشعر.. وحفظ أبياته سواء كانت وطنية أم عاطفية .. وكان يستتر وراء كل ذلك مواهب خطابية.. وميول أدبية متميزة كانت تسكنه منذ صغره .

ملحد ومنظر دينى:

يقول عن نفسه في مذكراته[1]:

أنه كان يضيق صدره من سماع التراتيل الإنجيلية كما كان يتقيأ إذا ما شم رائحة بخور الكنيسة عندما تصطحبه والدته إلى الكنيسة لأداء صلاة الأحد.. وكان لا يطيق رؤية رجال الكنيسة بثيابهم السوداء .

كما يقول:

ورثت عن أبي الإلحاد.. في حين لم تتمكن شفافية أمى المتدينة من النفاذ إلى سريرتى.. وعندما أصبح اشتراكياً يسارياً كتب مقالات مختلفة في بعض الصحف واصفاً الكنيسة الكاثولوكية بأنها «الجثة العظيمة الميتة» والفاتيكان بأنه مغارة للتعصب وعصابات اللصوص .

(١) في شهر فبراير عام ٢٠٠٧ نشرت يوميات كتبها موسوليني بخط يده.. وذكر المؤرخون في روما أن تاريخ الكتابات يرجع إلى الفترة ما بين ١٩٣٥ و ١٩٣٩ وقال مارشيلو ديلاوتري وهو أحد أعضاء مجلس الشيوخ بروما أنه حصل على اليوميات في مدينة بيلينزون بسويسرا من نجل أحد جنود المقاومة الذي كان حاضراً أثناء القبض على موسوليني وحصل على هذه اليوميات التي نشرت في إيطاليا.. ونحن نقتبس بعض فقرات منها بعيداً عن ما نُسب من قبل من يوميات مماثلة إلى الديكتاتور السابق ثبت أنها كانت مزوَّرة . ومصدرها ترجمة هشام خضر الصادرة عن مكتبة النافذة .

وسعى إلى الصحف السويسرية وراح يكتب مقالات نارية تضمنت آراءه الحادة والعنيفة والمتطرفة والتي تروج في جوهرها لتدشين مفاهيم جديدة لاشتراكية تعتمد على الفوضى والعنف وإثارة المشكلات.. ودعا في مقالاته إلى تصعيد العداء مع رجال الدين وإغلاق دور الكنائس لخطورتها على تفعيل العقل الذي استسلم لأصحاب النفوذ والجاه.. وهو ما استسلمت له الكنيسة في سويسرا وتجاهلته باعتباره يهاجم الكنيسة في بلاده.. ولا شأن له بهم.. خاصةً أن الفساد الكُنسي كان وقتها متفشياً على نطاق واسع داخل أوروبا عموماً.. وإيطاليا على وجه الخصوص بوصفها مسقط رأسه ومركز الديانة المسيحية لنصارى أوروبا .

ولم يكتف بذلك.. بل هاجم السيد المسيح وحوارييه في استفزاز فج .. ويمضي ليقول في إحدى مقالاته:

« ومن هو ذاك المسيح إذا لم يكن هو الرجل .[1] الصغير الذي أمضى زهاء عامين يجاهد لتغيير ديانة أهالي بعض القرى عن معتقداتهم وديانتهم.. لقد كان الحواريون في ظني الاثنى عشر مجرد جهلة أفاقين.. بل إنهم من حشرات فلسطين وحثالتها ».

لابد من طرده:

وهنا تحرك رجال الدين المسيحي في سويسرا.. وطالبوا بطرده خارج سويسراً.

انتهازى:

يقول عن نفسه :

« كانت ولادتي في الوسط الشعبي الورقة الرابحة في يدي» .

(١) تم رفع الكلمة التي قاله موسوليني لخروجها عن الدين .

داعر ومغتصب:

مبكرًا بدأت علاقاته النسائية في بيوت الدعارة مما سهل فرصة حصوله على المتعة بسهولة.. وفي مذكراته كتب عن فتاة كان يعرفها اسمها « فرجينيا » قائلاً :

« كانت فتاة فقيرة.. ولكنها ذات وجه جميل.. أجل كانت جذابة إلى حد كبير.. وذات يوم صعدت معها درج المنزل.. وقذفت بها إلى الأرض ثم افترستها.. وعندما انتهى كل شيء كانت تبكي بحرقة وتقول: لقد هتكت عذريتي.. وأنا لم أكن أنكر ذلك.. ولكن ماذا أفعل لها؟ وأي عذريةٍ تلك التي تتحدث عنها ؟».

أما عشيقته التي عرفها في بلدة جوالتييري السويسرية.. وكانت زوجة لأحد الجنود.. فقد طعنها بسكين في فخذها طعنة غائرة .

وفي كل مكان كان ينتقل إليه كانت تنتشر شهرته في اصطياد النساء.. وتميز مسكنه بكونه دائماً وكراً للغانيات اللاتي يترددن عليه لممارسة الرذيلة.. وتعاطي الخمور والمحرمات.

متناقض ومرتشي:

كان موسوليني اشتراكياً قبل أن يتحول ليصبح فاشياً.. وتحول مجرى حياته بعد لقائه مع انجيليكا بالانوف.. وهي روسية من أصل إيطالي كانت تنشر الفكر الماركسي بين المهاجرين الإيطاليين في النمسا.. فأصبحت معلمته وشجعته على الكتابة وبدأ ينشر مقالاته في الجرائد الاشتراكية.

وبالرغم من كونه أهم من روج للفكر الفاشيستى في التاريخ الحديث.. بل ويمكننا القول أنه أبيه الوحى.. والفكر الفاشيى يقوم على العنصرية.. والقومية.. وكما قال هو عن نفسه بالشكل الذى سنتحدث عنه في حينه «أنا عنصري».. إلا أنه في بداية حياته كثيراً ما كان يستعير عبارة جوستاف هير الشهيرة التى يقول فيها أن «العَلَمَ الوطني مجرد خرقة يجب أن تُرفع فوق المزبلة.. والقومية ليست إلا قناعاً للعسكرية الشريرة.. والاشتراكيون ما هم إلا منافقون للرأسمالية البورجوازية وعبدة القومية الوطنية» .

وعندما أعلنت إيطاليا عام ١٩١١ الحرب على تركيا وتحركت لغزو ليبيا[١].. أخذ يندد بالحكومة التي تريد أن تستعمر البلدان المسالمة وطالب مع زعماء الاتحاد العام بضرورة اللجوء إلى الإضراب الشامل والعام لإصابة البلاد بالشلل لعل الحكومة تتراجع عن قرارها الغاشم والظالم الذي كان يعبر بجلاء عن أطماع الإمبريالية والرأسمالية المتوحشة والجائعة.. وراح يقلب الجماهير على الحكومة التي قبضت عليه وأودعته السجن.. وبعد حوالي خمسة أشهر أفرجت عنه بعد أن لمست هدوء الأوضاع وعودة الانضباط إلى الشارع .. وبعد إطلاق سراحه رحب به الاشتراكيون وعينوه رئيساً لتحرير جريدتهم الوطنية إلى الإمام.

ثم فجأة وبعد أن كان صوت موسوليني ينطلق وسط الناس.. ومن خلال كتاباته بعبارات على شاكلة لتسقط الحرب.. ليحيى السلام.. ولنحيي الإنسانية.. وغيرها.. ودون مقدمات أو مشاورات مع قيادة الحزب الاشتراكي فوجئ به الجميع يغير موقفه ويدعو الحكومة الإيطالية للدخول إلى الحرب.. وينشر مقالاً يطالب فيه إيطاليا بالدخول إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الأولى.. فطُرِدَ من عمله ومن الحزب.. واتُّهِمَ بالخيانة.. وقد فسر هذا التحول بأنه قبض مبلغاً سرياً من الحكومة الفرنسية.

(١) في خريف عام ١٩١١ (أثناء وزارته الرابعة) أعلن جيوفاني جوليتي رئيس وزراء إيطاليا الذى تولى رئاسة الوزارة في إيطاليا خمس مرات الحرب على الإمبراطورية العثمانية بهدف غزو طرابلس الغرب (ليبيا).. والغريب في الأمر أن الدائرة ستدور.. ويأتى اليوم الذى يتهم فيه موسوليني بأنه قتل من الشعب الليبي فقط نحو ٢٠٠ ألف علاوة على مسؤوليته عن إعدام الثائر الليبي شيخ المجاهدين عمر المختار..

موسولينى يد شن مشروعه الفاشي:

وفي العدد الأول من جريدته (بوبولـو ديتاليـا) وتعنـي الشعب الإيطالي الصـادر بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩١٤دشن موسوليني مولد الفاشية بشعارين.

- الأول من مأثورات نابليون الثورية هو: «الثورة فكرة عثرتُ على عرابها »
- والثاني « من يملك الحديد يملك الخبز » ..

وذلك في مقال افتتاحي له كـان عنوانـه « الجـرأة ».. وقـال في هـذا المقـال موجهـاً كلامه إلى شباب إيطاليا:

« يا من تنتمون إلى جيل شاء القدر له أن يصنع التاريخ.. إنها كلمة ما كنت لألجأ إلى النطق بها في الأوضاع العادية.. ولكنني أجد نفسي مرغماً اليوم على أن أنطـق بهـا جهاراً.. وعلانية .. وبمنتهى الوضوح والإخلاص.. إنها كلمة الحرب بـما فيهـا مـن بعث للرعب والاستهواء».

الخائن الأجير بائع الضمير:

وبعد أن طُرِدَ موسوليني من الحزب الاشـتراكي.. هتفـت ضـده جماهير الحـزب الساخطة تقول :

«الخائن الأجير.. بائع الضمير ..».

ونتوقف هنا لنربط بين بعض الأحداث قديمها.. ولاحقها.. ففـي مدينـة فـورلي دخـل موسـولينى الحـزب الاشـتراكي وبـدأ مرحلـة جديـدة ولكنـه رجـع وهـاجمهم بالشكل الذى أشرنا إليه.. وانفصل من الحزب وكان وقتها يهاجم الحرب عـلى ليبيـا قبل أن يصبح أبشع محتل لليبيا والرجل الذى اقترف أفظع الجرائم هناك كـما سـنرى في حينه.. ولكنه عاد ثانية لرئاسة تحرير صحيفة الحزب وبدأ مرحلة أخرى.

وبينما كان مع الحزب ضد دخول إيطاليا الحرب إذا به يعود ثانية ودون الرجوع للحزب مؤيدًا الحرب مما أطاح به خارج الحزب وأصبح معزولاً إلى أن انتهت الحرب وخلفت وراءها أزمات اقتصادية كبيرة لإيطاليا.. وتوجه موسوليني للطبقة البرجوازية بعد ما كان يؤيد الطبقة الشعبية.. ولا ندري ما سبب كمية التحولات الرهيبة في مذهب موسوليني؟ من كاثوليكي لملحد.. من اشتراكي لبرجوازي لديكتاتور.. من رافض للحرب لمؤيد الحرب. المؤكد أنه في كل ذلك كان يبحث لنفسه عن دور على مسرح الأحداث .. لكن الأكثر تأكيدًا أنه كان عظيم التناقض .

تأثره بالميكافيللية:

وعلى جانب التكوين كان موسوليني يعشق مكيافيلي وكتابه الشهير الأميروقد استوقفته المقولة الشهيرة بالكتاب(ليست المحافظة على الدول بالكلام) وقام موسوليني بتفنيد الكتاب شرحه وتبني أفكاره فكانت النتيجة ما ظهر من سحق للمقاومة الليبية من أجل إعادة الإمبراطورية الرومانية في نظر موسوليني.

كما تأثر إلى حد كبير بمؤلفات الفيلسوف الفرنسي- جوستاف لوبون لما لمسه في كتاباته من أفكار ورؤى ونظريات وعبارات تجسد وتعبر عما تختلج بنفسه.

وليس كتاب الأمير ومؤلفات لوبان هم فقط ما تأثر به موسولينى.. فقد قرأ مؤلفاتٍ عديدة متنوعة لكبار العلماء والأدباء والفلاسفة أمثال سترنير.. ونيتشه.. وشوبنهور.. وغيرهم.

الحازم:

بكلمة واحدة كان يخيف أعداءه.. لهجته عند إلقاء خطبه.. مهاجماً.. أو محذراً كانت تهزُّ كيان أى شخص.

الحالم:

رغم كل ذلك كان موسوليني يحلم بإعادة بعث الإمبراطورية الرومانية القديمة.. وإعادة إيطاليا إلى الصدارة.. كان يحلم علناً بأن يسيطر على كل حوض البحر الأبيض المتوسط.. ويحوله إلى بحيرة إيطالية وأن ينشئ إمبراطورية تمتد من الحبشة إلى ساحل غينيا الغربي. وكان يدعو إلى زيادة النسل ليزيد عدد الإيطاليين فيمكنهم بالتالي استعمار واستيطان هذه الإمبراطورية الشاسعة.. ولكنه في حلمه حطم شعوباً ودولاً.. وعمق جراح شعبه وشعوب أخرى كثيرة.

قوى ودون جوان. وذو كبرياء شديد:

وكان موسوليني رائداً في الدعاية.. فكانت له العديد من الصور التي تظهره بالزى العسكري في عظمة وكبرياء.. بالإضافة للصفات الجسمانية القوية التي جعلت منه عاشقاً لا يُشقُ له غبار.. لذا شغف بحب النساء.. وطارد كل امرأة كانت تستهويه.. لكن كلارا التي كانت أصغر من ابنته بسنتين عشقته.. وبشكل مجرد وبقيت إلى جانبه ورفضت أن تتركه حتى في الساعات الأخيرة.

طاغية لا ينسى ثأره:

في صباح الثاني والعشرين من شهر أكتوبر ١٩٢٢ . وقف بنيتو بقامته أمام مجلس النواب الإيطالي بوصفه رئيس الحكومة الجديد قائلاً في خيلاء أثارت دهشة من لا يروق لهم.. وإعجاب من يميلون لأسلوبه وسياسته : « أيها السادة .. أود أن أبلغكم في هذا المقر التاريخي العريق أنه كان بمقدوري أن أحيل تلك القاعة الهادئة إلى قاعدة عسكرية مكتظة بالأسلحة يحملها أنصاري من ذوي القمصان السوداء..

كان بوسعي أيضاً يا سادة أن أنصب هنا بالتحديد متحفاً للجثث.. وأحفر بحراً من الدماء وآخر من الدموع.. بل لا أغالي إذا قلت لكم بملء الفم إني كنت على استعداد أن أوصد أبواب قاعتكم هذه بالمسامير ولن يستطيع كائن من كان أن يقاومني أو يعارضني بل كان في إمكاني أن أقفل أبواب البرلمان بالمسامير » .

وعقب انتخابات عام ١٩٢٥ التي حصل خلالها الفاشيون على نسبة ٦٥ ٪ من الأصوات.. وفي أول جلسة برلمانية اعترض النائب الاشتراكي «جياكوميتي» على النتائج.. وشكك في نزاهتها.. وثار عليه باقي أعضاء البرلمان الفاشيون.. فهدأ موسوليني من حدتهم.. وقال لهم بمنتهى الهدوء وهو ينظر للنائب المعترض : لا عليكم.. إنما يعبر الرجل عن رأيه.. وقال النائب : الآن يمكنكم أن توقعوا تصريح دفني.. وفعلاً اختفى النائب بعدها تماماً لمدة عشرة أيام.. بعدها عُثِرَ على جثته بالقرب من روما.. وبسبب الضجة التي أثارتها الصحافة حُوكِمَّ صورياً خمسة ناشطين فاشين بتهمة القتل التي نفذوها.. واعترفوا بأن النية كانت تأديبه لا قتله.. فسجنوا لفترة قصيرة جداً.

ناقم على حياته:

ذات مرة قال لأمه عندما قرر أن يساعدها في عملها في مجال التدريس في دوقيا:

« انظري كيف الناس يأكلون.. ويشربون.. وينعمون.. أما أنا فأسافر في الدرجة الثالثة وآكل أرخص الطعام و أسوأه. « يا. العذراء » كم أكره الأغنياء .

لذا كان إنساناً معذباً:

حسب يوميات كلاريتا عشيقته التى سنعرض لها في حينه .. فقد كان دائماً متوتراً عنيفاً كالوحش.. يطلق صرخات مجنونة.. ثم يسقط منهكاً شاحباً.. إنه لم يكن سوى إنساناً معذّباً.. والعذاب في المراحل العمرية الأولى يترك بصمات واضحة في تكوين شخصية الإنسان.. وتتجسد هذه البصمات في مظاهر القسوة والعنف.. وإذا ما امتلك هذا «المعذب» القوة يتحول إلى وحش بشري.

المتنبئ:

ذكر موسوليني في مذكراته أنه اكتسب من أمه الشموخ والعزة والاعتزاز بالنفس والكبرياء.. وقد كان يقول لها دائماً أنه سوف يثير دهشة العالم وإعجابه يوماً ما.

وعندما كثر التفاف الجماهير حوله أثناء تشييع جنازة أبيه.. وذاع الخبر كل أنحاء البلاد.. تنبأ موسوليني لنفسه بأن هذه بوادر مشجعة ليرتقي.. فها هي صفوة المجتمع وأهم رموز إيطاليا جميعهم حوله.. وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد.

المغرور:

وركب الغرور موسوليني في النهاية.. فأخذ يحلم بإحياء الإمبراطورية الرومانية القديمة.. وشرع يقلد قياصرة روما ناسياً الإمكانيات الضئيلة لإيطاليا بالمقارنة مع الإمبراطورية الرومانية.. فبدأت الكوارث تحل ببلاده وأسرته وبه شخصياً حتى انتهى النهاية التي جرّت على الجميع نكبات وكوارث لاتزال إيطاليا حتى اليوم تتحمل عواقبها وتئن تحت آلامها.

الشذوذ لا يعنى التميز:

هناك علاقة منطقية بين الوحشية والدكتاتورية.. تلك التي تختلّ فيها الموازين الإنسانية الطبيعية لدى الإنسان ويصبح مهووساً بكل ما هو شاذ.. ظناً منه أن الاختلاف عن البشر العاديين يعني التميز.. حتى لو كان هذا «التميز» يقود إلى رصيف مهجور أو مقصلة إعدام.. وبلغ من حدة استبداد هذه النزعة الاختلافية عن الغير بموسوليني حداً غريباً.. فهو كما قلنا كان أنيقاً.. يهتم بهندامه.. على الأقل حتى يسرق أنظار النساء – نقطة ضعفه الأولى – ويسرق عدسات الكاميرات.. لكننا نفاجئ به بعد أن أصبح رئيساً للحكومة.. بأنه يذهب إلى بعض الحفلات والمناسبات الرسمية دون أن يحلق ذقنه.. وبملابس رثة.. وأحياناً متسخة..وحذاء غير مصبوغ.

شبق ديكتاتورى مستبد:

التميز عند الطغاة ممن هم على شاكلة موسوليني يمكننا أن نطلق عليه مسمى (شبقاً دكتاتورياً استبدادياً) واعتبر فرويد[1] هذا النوع من أهم أسباب.. ومحركات الحربين العالميتين.. وعندما تستبدّ غرائز الموت.. يسود الكره والعنف.. والنزوع إلى الدمار.. ويستفحل في أصحابها أجواء من العنصرية.. والتشرذم.. وتضعهم في معزل عن القيم الطبيعية التى يشعر بها. ويصبوا إليها أى إنسان طبيعي من الحرية والعدل والمساواة .. وتجعل من هؤلاء الحكام طغاةً متغطرسين.. يعملون على تحطيم مبادئ الإنسانية.

(١) سيجموند فرويد (٦ مايو.. ١٨٥٦ – ٢٣ سبتمبر.. ١٩٣٩يعتبر مؤسس مدرسة التحليل النفسي وعلم النفس الحديث.. وكان طبيب أعصاب نمساوي اشتهر بنظريات العقل اللاواعي.. وآلية الدفاع عن القمع وخلق الممارسة السريرية في التحليل النفسي لعلاج الأمراض النفسية عن طريق الحوار بين المريض والمحلل النفسي.. كما اشتهر عنه إعادة تحديد الرغبة الجنسية والطاقة التحفيزية الأولية للحياة البشرية.. فضلا عن التقنيات العلاجية.. بما في ذلك استخدام حرية تكوين الجمعيات.. ونظريته من التحول في العلاقة العلاجية.. وتفسير الأحلام كمصادر لنظرة ثاقبة رغبات اللاوعي.. كما أنه كان الباحث في وقت مبكر العصبية في الشلل الدماغي.. في حين أن كثيراً من أفكار فرويد قد انخفضت من صالح أو قد تم تعديلها من قبل المحافظين الجدد في نهاية القرن ٢٠ ومع التقدم في مجال علم النفس بدأت تظهر العيوب في كثير من نظرياته.. تبقى أساليب وأفكار فرويد مهمة في تاريخ علم النفس في الأوساط الأكاديمية.. وأفكاره لا تزال تؤثر في بعض العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.. وقد ولد سيجموند فرويد في ٦ مايو من عام ١٨٥٦ إلى الجاليكية اليهودية الديه في بلدة مورافيا بالإمبراطورية النمساوية.. والتي هي الآن جزء من جمهورية التشيك.. والده جاكوب كان تاجر صوف.. والدته كانت تدعى أمالي وكانت الزوجة الثالثة لجاكوب.. ونظراً لذكائه المبكر.. فضله والداه على إخوته الثمانية من المراحل المبكرة من طفولته.. ورغم فقرهم ضحوا بكل شيء لمنحه التعليم السليم.. وبسبب الأزمة الاقتصادية في عام ١٨٥٧ خسر والد فرويد تجارته.. وانتقلت العائلة إلى لايبزيج قبل أن يستقر في فيينا.. في عام ١٨٦٥.. وهناك تخرج فرويد من المدرسة الثانوية في ماتورا في عام ١٨٧٣ مع مرتبة الشرف.. بعدها توجه إلى كلية الطب في جامعة فيينا لدراسة تحت الداروينية البروفسور كارل كلاوس.

قائد ذكي:

قدرات موسولينى العقلية جعلت منه حاكماً مرهوب الجانب.. مسموع الكلمة.. جمع في قبضته في وقتٍ من الأوقات سبع وزارات.. وكان الجميع يرونه يتجول في الوزارات.. ويتمشى في كل دروب السلطة مختالاً.. يرى نفسه شعاعاً ساحراً.. يعيش حلماً جميلاً.. وهامات الكبار قبل الصغار تنحنى له.. فيخدرها بكلماته لتنام سكرى على حلم المجد.. والعظمة.. والثراء الذي لا يشبعون منه ولن يشبعوا.

أدوات حكمه:

تمثلت أدوات موسوليني الحكمية في مبادئ ثلاث :

- لا لحرية الصحافة..
- الحرية مجرد آلهة متعفنة..
- البرلمان هو مجمع القواقع القديمة..

بطل من ورق:

وكان لابد أن يتعرض موسولينى لمحاولات اغتيال رداً على منهجه القمعي الاضطهادي . وهذا ما حدث في شهر إبريل من عام١٩٢٦ أي بعد ثلاث سنوات ونصف فقط من استلامه زمام السلطة في إيطاليا.. حيث تعرض موسوليني لطلقة نارية من مسدس فتاة.. لكنها لم تصب منه مقتلاً.. ولو انحرفت رصاصتها قليلاً لكانت قد أفضت إلى تغيير جذري في الواقع الإيطالي.

الفتاة أيرلندية تدعى فيوليت جيبسون.. وكانت ابنة مستشار حاكم أيرلندا البروتستانتي.. غيرت مذهبها إلى الكاثوليكية مخالفة في ذلك معتقدات عائلتها.. ومن ثم انتقلت إلى روما عام١٩٢٤ بعد أن أسرت إلى أخيها ويلي بأن البابا بوليس الرابع عشر يخون الكنيسة مما يتعين قتله..

لذلك عمدت إلى تأمين مسدس لتنفيذ ما تريده.. لكنها بعد ثلاثة شهور استخدمته بإطلاق النار على نفسها في دير للراهبات حيث تقيم.. وما أن تعافت حتى عمدت إلى تأمين مسدس آخر استخدمته في محاولتها اغتيال موسوليني.

تلك التصرفات الصادرة عن الفتاة تؤكد أنها تعاني من اضطرابات نفسية.. خاصةً أنها سبق وقامت عام١٩٢٣ بطعن أحد الخدم بسكين.. الأمر الذي دعا إلى إيداعها في مصحة.. ولأن موسوليني أصبح على قناعة بأن محاولتها قتله لم تكن ذات خلفية سياسية لم يعط لهذا الأمر اهتمام من جهة.. وتحسب من الإساءة لعلاقاته مع المملكة المتحدة من جهة أخرى. (١).

الطريف أنه عندما أطلقت الفتاة الإيرلندية رصاصاتها أصيب أنف موسولينى وخُدِش.. فصرخ في عبارة مسرحية:

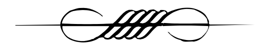
«إذا تقدمت فاتبعوني.. أما إذا تراجعت فاقتلوني.. وإذا مت فاثأروا لي » .. ثم قال لمن حوله بعد تضميد جراحه:

« تصوروا.. تصوروا.. فتاة تفعل هذا ».

(١) بالنسبة لحكومة المحافظين البريطانية.. فقد اعتبرت فيوليت مصابة بالجنون.. وعمدت إلى إعادتها إلى بريطانيا بعد أن نصحها السفير البريطاني في روما بسحب جواز سفرها.. والتأكد بأنها لن تعود إلى إيطاليا.. لذلك أدخلت إحدى مستشفيات الصحة النفسية إلى أن توفيت عام١٩٥٦ تستعرض ساندروس حياة فيوليت بكثير من التعاطف والشفقة.. كما تتحدث عن الجهود التي بذلها محامي فيوليت لإثبات إصابتها بمرض نفسي.. وهناك كتاب يحمل عنوان« المرأة التي أطلقت النار على موسوليني » مؤلفته كاتبة أيرلندية تدعى فرانسيس ستونر سوندرس..رصدت الكاتبة حياة معاصرين مثل فلورانس نايتنغل وفرجينيا ولف.. وفاسلاف نيغنسكي لكن يبقى موضوع فيوليت ومواجهتها لموسوليني أمراً مثيراً وجديراً بالاهتمام.

كل ما سبق = موسولينى:

كل ما سبق كون شخصية الدوتشي.. فقد جعلت منه الحياة شخصاً قاسياً حاداً يقاوم الصعوبات ولكنه يحمل شخصية أخرى وراء هذه الشخصية فلقد كان مولعاً بأمه وتأثر كثيراً بفقدانها.. كذلك علاقته بزوجته التي عانت منه كثيراً فكانت علاقته مع ليدا ثم بايدا وإنجيلا وكلارا مما أدى لعدم خلق جو أسري كان من المحتمل أن يؤثر في شخصية موسوليني.



٢- موسوليني البدايات والنشأة

في قرية صغيرة تقع في شمال إيطاليا تعرف باسم (دوفو دينو بريدابيو) وُلِدَ بينيتو موسوليني في التاسع والعشرين من شهر يوليو عام ١٨٨٣ [١] وسمي بنيتو على اسم الرئيس بينيتو خواريس. بينما يرجع لقب العائلة إلى مسمى نوعٍ شائع من الحرير كان معروفاً في أوربا اسمه «موسولينى» وكان جدود بنيتو يتاجرون فيه.

كانت عائلته فقيرة كسائر عائلات الأقارب والجيران.. مكونة من الأبوين بالإضافة إلى بنيتو وشقيقه أرنالدو.. وشقيقتهما الصغيرة إيدفيج.. وكان الأبوان من جذور إيطالية صريحة.

الأم:

كانت تدعى (روزا مالتوني) وكانت تعمل معلمة في مدرسة كاثوليكية.. وكانت هى المسئولة عن البيت والعائلة.. ولأن الأسرة كانت تعيش في كوخ بائس يتكون من غرفتين فقط.. فقد حولت الأم واحدة منهما إلى مدرسة خاصة لتعليم أطفال القرية.. وكان بنيتو يفترش أرضية المطبخ وبجانبه شقيقه الصغير أرنالدو .

الأب:

كان يعمل حداداً ويدعى (إليساندرو موسوليني) كان ملحداً.. وفوضوياً اشتراكياً.. ومشغولاً دوماً بالسياسة.. لكنه كان رجلاً مثقفاً ..قارئاً .. يطالع الصحف.. دوماً منكب على قراءة الكتب والنشرات الثورية والاشتراكية حتى وجد نفسه غارقاً في بحار السياسة مما أثر على حالة الأسرة المعيشية..

---

(١) من مفارقات القدر الغريبة أن يوم مولد موسولينيى هو نفسه اليوم الذى تولى فيه أدولف هتلر رئاسة حزب العمال القومي الاشتراكي الألماني.. لكن كان هذا بعد ٣٧ عاماً أى في عام ١٩٢١ وهو نفسه يوم ولادة الرئيس العراقي الراحل صدام حسين ولكن عام ١٩٣٧ وفي نفس اليوم أيضاً ولكن عام ١٩٣٦ توفيَّ ملك مصر أحمد فؤاد.

وكان كما قلنا ملحداً لا يأبه بالطقوس الدينية.. ولا يحفل بالتعاليم والقيم والآداب التي كانت تنادي بها الكنيسة.. اعتقل أكثر من مرة لهجومه العنيف على نظام الحكم في إيطاليا.. قُبِضَ عليه ودخل السجن عام ١٩٠٢ بتهمة إثارة الشغب أثناء الانتخابات.

في البداية قامت الأم بتعليم ابنها (بنيتو) القراءة والكتابة.. وألحقته بالتعليم في مدرسة داخلية.. بعدها التحق موسوليني بمعهد فني.. وظهرت عليه إمارات الذكاء وشدة الاستيعاب.. وكذلك اكتمل بنيانه الجسماني القوي.. وحصل على دبلوم معلمين.. وكان يجيد الكتابة فظهرت بداياته الصحفية مبكراً.

الهروب إلى سويسرا:

هناك محطة مهمة في تاريخ صناعة ذلك الطاغية ألا وهي سفره لسويسرا هرباً من أداء الخدمة العسكرية.. ففي عام ١٩٠٢ هاجر إلى هناك.. وخلال هذه الفترة لم يستطع العثور على عمل دائم هناك.. حتى وجد نفسه مدفوعاً لممارسة التسول والبلطجة .. ونهب ما يتطلع إليه.. وحدث ذات مرة أن هجم على سيدتين إنجليزيتين كانتا تحملان طعاماً وخطف من إحداهما الطعام.. وقد قال في ذلك : « لم أستطع أن أمنع نفسي فهاجمت إحدى العجوزين وخطفت الطعام من يديها.. وأؤكد أنهما لو حاولتا المقاومة لخنقتهما.. أجل لخنقتهما » .

وفي صبيحة يوم ٢٤ يوليو ١٩٠٢ تم القبض عليه بتهمة التشرد وسُجِنَ.. وأُوقف من طرف الشرطة تحت جسر قضى تحته ليلته.. لم يكن بحوزته حينها إلا جواز سفر وشهادة التخرج من مدرسة المعلمين و١٥ سنتيما.

ويقول في مذكراته أنه لاقى في تلك الفترة من الضنك وشظف العيش ما لا يستطيع أحد تحمله.. وأنه كان يضطر أحياناً للنوم في كيس من الخيش تحت أحد الجسور.. وأحياناً النوم في المراحيض العامة.

وكان من بين الأعمال التى اشتغل بها هناك جرسوناً.. وعامل بناء.. ومساعد جزار.. وعامل توصيل طلبات عند بائع خمور..وعامل في مصنع شيكولاتة.. ومحرراً في مجلة اشتراكية للعمال.. ثم انتهى به المطاف مدرساً مؤقتاً في المرحلة الابتدائية في بلدة جوالتياري.. لكن لم يتمّ تجديد عقد عمله بسبب علاقة أقامها مع سيدة كان زوجها متغيباً لأداء الخدمة العسكرية.. وفي لحظة غيرة قام بطعنها بسكين.



الصورة التي التقطتها الشرطة السويسرية لموسوليني
يوم ١٩ يونيو ١٩٠٣عندما قبض عليه وتظهر فيها بصماته

مُحاضر :

قضى موسوليني الأشهر الأولى من عام ١٩٠٤ بين جنيف وآنماس في فرنسا في عقد اجتماعات.. وإلقاء محاضرات ذات طابع سياسي.. ونقابي.. إضافة إلى مراسلات صحفية مع منشورات ومجلات اشتراكية وفوضوية.

وفي شهر أبريل من عام ١٩٠٤ أفلتَ بفضل تدخل حاسم من سلطات كانتون تيشينو من الإبعاد مجدداً إلى إيطاليا التي حُوكم فيها بتهمة التقاعس عن أداء الواجب العسكري.. ثم تحول إلى لوزان حيث سجل في كلية العلوم الاجتماعية وتابع لبضعة أشهر محاضرات عالم الاجتماع فيلفريدو باريت.

ووجد له عملاً في مدينة تورينتو ذات الأصول الإيطالية والتي كانت وقتها تحت سيطرة كلٍ من (النمسا – المجر) [١] حيث عمل هناك إدارياً في الفرع المحلي للحزب الاشتراكي.. ومحرراً في صحيفة تسمى (افينيري دل لافوراتوري) [٢] ثم عمل بنّاءً في شركة مقاولات في لوجانو حيث تعرف على الزعيم الاشتراكي جوليالمو كانيفاشيني الذي استضافه في بيته.

تحديات وأحلام:

وكان عام ١٩٠٣ هو الأهم في رحلة موسوليني بسويسرا.. فقد استطاع موسوليني رغم صلافته وغروره الجامح أن يستأثر بقلوب العمال الذين كان قد اقترب منهم وتوطدت علاقته بهم أثناء عمله معهم في سويسرا بالمهن التى أشرنا إليها.. حيث كان يستهويهم عصيانه وتمرده وجموحه.. حتى أن أغلبهم كان يعتبره بوقاً وصوتاً ومنبراً لمن لا بوق.. ولا صوت ولا منبر له..

---

(١) الإمبراطورية النمساوية المجرية (تسمى أيضاً النمسا–المجر) ولدت مع تسوية عام ١٨٦٧ بين نبلاء المجر والملكية الهابسبورجية في محاولة للحفاظ على الإمبراطورية النمساوية القديمة التي ولدت في عام ١٨٠٤.. تمتعت داخلها مملكة المجر بسياسة ذاتية الحكم على عدة صُعُد (خصوصا في العلاقات الدبلوماسية والدفاع).. في حين كان آل هابسبورغ أباطرة للنمسا وملوكاً للمجر.. كان الاسم الكامل للدولة «الممالك والأراضي ممثلة في المجلس الإمبراطوري وأراضي تاج القديس ستيفانوس».. بلغت مساحة الإمبراطورية ٦٨٠,٠٠٠ كيلومتراً مربعاً وعدد سكانها عام ١٩١٠ ٥٢ مليون نسمة.. عاصمتها فيينا.. ثالثة كبريات المدن في أوروبا.. كان للنمسا والمجر دستورين وبرلمانين ووزارات منفصلة (كانت بودابست عاصمة المجر).. اشترك الملك والوزارات بالمسؤولية عن السياسة الخارجية والاقتصادية والعسكرية.. ووُجد إلى جانب الجيش الإمبراطوري الملكي المشترك جيش وطني نمساوى وآخر مجري.. وقد نَظّمت تفاهمات عشرية قابلة للتجديد القضايا المالية (مثل تقاسم النفقات المشتركة) والتجارية.. بقاءها إمبراطورية متعددة الأعراق في عصر- صحوة قومية قوي.. جعلها تعاني باستمرار من النزاعات بين المجموعات العرقية الأحد عشر التي تتألف منها.. ورغم الخصومات الإثنية خلال سني عمرها الخمسين.. شهدت الإمبراطورية نمواً اقتصادياً سريعاً وتحديثاً ملحوظاً.. إضافة إلى العديد من الإصلاحات الليبرالية.

(٢) تعنى بالغة الألمانية «مستقبل العامل»

وأنه يتحدث مع الجميع معبراً عن آلامهم وهمومهم وشكاواهم.. وأكسبته المفاهيم التي روجها بين طبقة العمال نفوذاً واسعاً.. على أثر هذا التطور اللافت في حياة بنيتو بدأ يستشعر تغيرات ملموسة في تلك المرحلة العمرية التي أكمل فيها عامه العشرين .. عرض عليه العمال السويسريون أن يتولى سكرتير اتحاد عمال البناء والعمال اليدويين في مدينة لوران وطالبوه بتحمل مسؤولية الدعاية والإعلان[1].

ها هي اللحظة قد حانت لكي يصعد الدرجات الأولى في سلم اجتماعي وسياسي طويل يحتاج إلى التريث والصبر والذكاء والشجاعة والثقافة والمرونة وسعة الأفق وحسن الخلق.. وهذا المنصب قدمه في ثوب جديد يختلف اختلافاً جذرياً عن ذلك الذي كان يرتديه من قبل.

ومع تزايد شعبيته شن حملة هجوم قاسية على النظام السياسي الحاكم في سويسرا.. وكانت سويسرا في تلك الأثناء نموذجاً للحرية والديموقراطية في العالم بيد أن موسوليني لم يكن تروق له الديمقراطية على الإطلاق.. مما اضطر الحكومة السويسرية إلى اعتقاله مرة أخرى وإيداعه في السجن حتى أطلق سراحه في مطلع عام ١٩٠٥ على أمل أن يلتزم بقوانين البلاد وألا يثير الشعب مرة أخرى.. لكن في الواقع فإن موسوليني كان يهوى الاعتقال لتزايد شعبيته حيث كانت الصحف والمجلات السويسرية والأوروبية تتناول سيرته.. وتتعرض تفصيلاً لحياته وتتصدر صوره صفحات وأغلفة الصحف والمجلات بوصفه الثائر الاشتراكي العنيف الذي تتأجج النيران بداخله أملاً في الإصلاح والتنمية والبناء والاستقلال والمساواة .

(١) هشام خضر.. مذكرات موسولينى.. طبعة مكتبة النافذة.

وفي النهاية انتهى به الأمر بالخروج من سويسرا مطروداً.. ولكن بعد أن كان قد التحق بجامعة صيفية لتعلم الدروس السياسية.. وبعد أن استكمل دراسته في جامعة لوزان قرر العودة إلى إيطاليا بعد المرسوم الملكي بالعفو عن جميع الشباب الذين هربوا خارج إيطاليا.. فعاد إلى قريته مرة أخرى ليعيش مع أمه وأخوته.. لكن يمكننا القول أن هذه الرحلة أثرت بشدة في تكوينه وهو بعد مازال شاباً من حيث عناء الغربة والاختلاط مع الحركات الثورية وتفهم أساليب الدعاية التي جعلت منه مدرسة في الدعاية تعلم منها هتلر فيما بعد.

عودته إلى إيطاليا:

بعد صدور العفو عن الهاربين من خدمة الجيش عام ١٩٠٤ عاد موسوليني لإيطاليا.. وعمل مدرساً.. وساهم مساهمة رئيسية في تحرير مجلة أسبوعية تدعى صراع الطبقات وهى إحدى المجلات الاشتراكية.. وتصدر موسوليني مسرح الحياة السياسية في عام ١٩٠٨ ليؤجج مشاعر الشعب ضد النظام الملكي الإيطالي وبالطبع لم تخلُ صفحات الجرائد والمجلات وأحاديث المقاهي والمنتديات والصالونات من ذكره ومتابعة أخباره بوصفه زعيماً ثورياً اشتراكياً وطنياً جاهد إلى تحرير بلاده ونهضة أهلها البؤساء الذين أجهدهم الفقر وأذلهم الجوع.. لكن القبضة الملكية كانت قوية غاشمة فرمت به في السجن.

إلى النمسا:

وبعد قضاء فترة العقوبة توجه إلى النمسا بإيعاز من أصدقائه وبعض معارفه الذين وثق بهم.. وفي النمسا استقبلته الجماهير وكأنه زعيم أجبرته سلطات الاحتلال على الذهاب إلى المنفى.. وتولى وظيفة في نقابة العمال التي كانت في حاجة إليه لتحريك ثورة عمالها وإشعال لهيبهم ليحرق صدور الأغنياء الرأسماليين الخنازير على حد وصفه لهم .. ومثلما كان مصيره في سويسرا وإيطاليا فإن السلطات النمساوية زجت به في السجن لعله يرتدع وبعد أقل من عام اضطرته الحكومة النمساوية إلى العودة إلى بلاده.

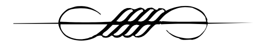
وبدأت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ دخلت إيطاليا الحرب وقضى موسوليني عامين بالجيش.. وبعد انتهاء الحرب كانت إيطاليا تشهد كثيراً من المشاكل.. حيث لم يكن العمل متوفراً للجنود العائدين من الحرب.. والأسعار مرتفعة.. ولم يكن باستطاعة الفقراء شراء حوائجهم.. وكانت الاضرابات في كل مكان.. وفي مختلف المدن.. وتشكلت العصابات من الفقراء.. وبدأت بحرق بيوت الأغنياء.. وكان الجميع خائفاً من شيء ما سوف يحدث.

وبذكاء شديد استشعر موسوليني مزاج الشعب.. وحالته النفسية.. وكان يرى غضب الجنود.. ولم يكن راضياً عن حياة الفقراء.. وكان يريد تغيير ذلك.. مؤمناً بأن العنف هو السبيل الوحيد لتحقيق ذلك.. ومن هنا بدأت ملامح الحالم بالحكم تتبلور داخل عقل موسوليني.

زواجه:

وفي أثناء تلك الفترة.. وتحديداً عام ١٩١٥ تزوج موسوليني من زوجته راكيلا.. ورزق منها بابن.. ويبدو أن والده كان يفهمه أكثر من غيره.. فنصح راكيلا قبل الزواج بأن تلقى نفسها تحت عجلات القطار.. ولا توافق على الزواج من ابنه. لكنها على كل حال تزوجت منه .

وفي نفس العام نشر رواية رومانسية مبتذلة بعنوان (عشيقة الكاردينال) .



٣- موسوليني ... والفاشية Fascism

مبدئياً نقول : أن الفاشية ليس لها تعريف محدد.. ولكن فكرتها الأساسية يمكننا القول أنها قائمة على القومية العنصرية.. وخدمة الدولة بشكلٍ مطلق.. وتباينت الفاشية من بلد إلى بلد.. وسادت بصفة خاصة.. في إيطاليا تحت حكم موسوليني.. وفي ألمانيا تحت حكم هتلر.

لكن عموماً تقضي جميع الصور التطبيقية للفاشية على هوية الفرد في سبيل الجماعة.. وتنشأ دائماً في الأزمات حينما يكفر المجتمع بكل ما حوله.. فيبدأ بالبحث عن هوية.. أو فصيل يحميه فتنشأ القومية المتعصبة التي كان من أعلامها هتلر وموسوليني

وأكاديمياً.. ولغوياً يمكننا القول أن اصطلاح الفاشيّة «fascism» مشتق من الكلمة الإيطالية fascio وهي تعني حزمة من الصولجانات كانت تُحمَل أمام الحُكام في روما القديمة دليلاً على سلطاتهم.. وفي تسعينيات القرن التاسع عشر بدأت كلمة فاشيا «fascia» تستخدم في إيطاليا لتشير إلى جماعة أو رابطة سياسية عادة ما تتكون من اشتراكيين ثوريين.

ويعرف قاموس ويبستر الفاشية بأنها :

«نظام حكومي تحت قيادة دكتاتور يمتلك كامل صلاحيات السلطة.. يقمع المعارضة والنقد بالقوة.. ينظم كل الصناعة.. التجارة.. إلخ.. ويشدد مؤكدًا على قومية عدوانية وتمييز عنصري في أغلب الأحيان».

وعلى الرغم من ذلك فعادة ما يفتقر توظيف اصطلاحي «الفاشية» «fascism» و«الفاشي» «fascist» إلى الدقة.. فكثيرًا ما تستخدم كاصطلاحات تهدف إلى الإساءة السياسية للخصوم السياسيين والاتهام لهم بالدكتاتورية ومعاداة الديمقراطية.

وعلى سبيل المثال أصبح «الفاشي» و«الديكتاتور» لفظين يطلقان بشكل متبادل على كل مَن يتبنى أو يعبر عن آراء منافية أو مخالفة للمنظومة القيمية للأيدلوجية الليبرالية أو مؤسساتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.. والحق أنه لا يجب مساواة الفاشية بأساليب القمع الخالص.. فقد ساهم نطاق معين من النظريات والقيم في رواج الفكر الفاشي.. كما أن الأنظمة الفاشية التي ظهرت في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين قدمت صيغًا من الحكم والإدارة السياسية المتكاملة التي يجب دراستها بمعزل عن الطبيعة السلطوية للأنظمة الفاشية.. نظرًا لأهميتها في نظريات الإدارة السياسية.

المبادئ العامة للفاشية:

- الدولة فوق الجميع أي يحق للدولة أن تتدخل في حياة الفرد الخاصة.
- وظيفة الفرد هي خدمة المجتمع.
- إلغاء الحريات الفردية مثل: حق الحياة.. الكرامة.. الخصوصية.. إلخ.
- تسعى الفاشية لكي تتقوى.. وتتعاظم على حساب الآخرين.
- ترى الفاشية بأنه من المستحيل أن يكون هناك سلام دائم بين جميع دول العالم.

بين الشيوعية.. والفاشية:

بالرغم من كون الفاشية شبيهة بالشيوعية في بعض النقاط مثل التطرف الوطني.. والسياسات للعسكرية.. والتوسّع.. والغزو.. واضطهاد الأقليات.. إلا أنها تخالفها في نقاط أكثر.. فالشيوعية تملك فيها الحكومة كل الصناعات.. بينما تبيح الفاشية للصناعة أن تبقى ملكية خاصة.. ولكن تحت سيطرة الحكومة.

عوامل صعود الفاشية إلى الحكم في إيطاليا:

تأثرت الفاشية في إيطاليا بمبادئ النازية في ألمانيا[1] التي كان يمثلها هتلر عام ١٩٣٣وحركة الفلانجية الأسبانية التي مثلها فرانكو عام ١٩٣٩م.

ومن وجهة النظر الاقتصادية يقضي هذا النظام بتكوين نقابات من العمال وأرباب العمل.. ويفترض بأعضاء هذه النقابات أن يكونوا كلهم من الحزب الفاشي.. كما يسعى لإيجاد نوع من التعاون بين الطبقات يؤدي لتحقيق السلام الاجتماعي.. ولهذا فهو لا يؤمن بحق الإضراب.. ولا يستهدف القضاء على الرأسمالية الوطنية.

ويرى أنصار هذا المذهب بأن تدخل الدولة يجب أن يكون فقط عند عدم كفاية المشروعات الفردية.. وبأن هذا التدخل يشكل الرقابة أو تحسين النوعية أو الإدارة المباشرة للمشاريع الاقتصادية في حالة عجز أفرادها عن إدارتها.

---

(١) النازية تعني : القومية الاشتراكية (بالألمانية: Nationalsozialismus) هي حركة سياسية تأسست في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى.. حيث تمكن المنتمون للحزب القومي الاشتراكي العمالي الألماني تحت زعامة أدولف هتلر من الهيمنة عام ١٩٣٣ على السلطة في ألمانيا وإنشاء ما سمي بدولة الزعيم والمملكة الثالثة.. التي أثارت الحرب العالمية الثانية وقد اتهمت بارتكاب المحرقة (الهولوكوست) بحق اليهود.. وما زالت هذه الأفكار والأهداف موجودة في عقائد وأنظمة بعض الأحزاب والمجموعات اليمينية وتسمى Neonazismus اليوم بالنازية الجديدة (القومية الجديدة) مجرد الدعاية لهذه الأفكار أو تنظيم الشعارات واستخدامها هي في ألمانيا والنمسا وبعض الدول الأخرى ممنوع قانونيًا وتترتب عليه عقوبات قضائية.. أصبح المصطلح «نازية» وصفاً للأيديولوجية التي اتخذها ذلك الحزب في العشرينيات.. والثلاثينيات من القرن العشرين.. والمبنية على العنصرية والتشدد ضد الأعراق الأخرى وكذلك على علوّ أجناس بشرية معينة على أجناس أخرى.. وآمنت بقمع وحتى بإبادة الأعراق الدنيا.. وبالمقابل الحفاظ على «طهر» الأعراق العليا.. وصل الحزب النازي إلى الحكم في ألمانيا عام ١٩٣٩ بقيادة أدولف هتلر.. الذي شرع باستعمال القوة لتحقيق أيديولوجيته.

ومن خلال ذلك يمكننا أن نحدد عوامل قيام الفاشية بإيطاليا في النقاط التالية:

١- شعور الإيطاليين بخيبة أمل بسبب مؤتمر فرساي الذي لم يعطهم نصيباً وافراً للمستعمرات.

٢- بعد الحرب عانت إيطاليا من مشاكل اقتصادية أدت إلى اضطرابات وإضرابات عامة.

٣- السلطات الديمقراطية لم تستطع أن تصلح أو تعيد النظام إلى الدولة

٤- الخوف من الشيوعين في الاستيلاء على الحكم.

ويمكننا القول أن الفاشية قد نشأت في إيطاليا في ظروف الخطر الشيوعي الذي هددها.. وكانت إيطاليا قد انضمت إلى الحلفاء أثناء الحرب العالمية الأولى لتحقيق مغانم استعمارية في أفريقيا والشرق الأدنى والساحل الأدرياتيكي.. وفقدت في تلك الحرب حوالي (٦٥٠) ألف جندي.. غير أن الحلفاء عاملوها كشريك صغير عند توزيع الغنائم.. فلم تفُز في الصلح بغير تسعة آلاف ميل مربع من الأرض في أوروبا.. ومليون ونصف في جهات مختلفة.. ولم تقنع روما بهذه المكاسب التي أثارت استياء الإيطاليين.

وفي نفس الوقت ساد جو من الاضطراب وعدم الاستقرار في الحكم.. فتعاقبت الوزارات.. وتفشَّت البطالة وتراكمت الديون.. وأصبحت غالبية الشعب تميل نحو الشيوعية.. عندها تقدم اليمين المتطرف بزعامة «موسوليني» للسيطرة على الحكم.. وقاد عملية الزحف على روما في (أكتوبر ١٩٢٢م).. واستطاع أن يُسقط الحكومة ويؤلف الوزارة.. ومنذ ذلك التاريخ بدأت الفاشية في إيطاليا.. وقاد سياسة توسعية خارجية.. وطالب بإعادة النظر في مشكلة التعويضات.. ومعاهدات الصلح.

إيطاليا الشعب:

أسس موسولينى جريدة أسماها (إيطاليا الشعب) وصفها بأنها اشتراكية يومية.. ليصبح موسوليني صاحب جريدة بدون حزب.. ومنذ مارس ١٩١٩ بدأ ينشر في جريدته سلسلة مقالات عن تشكيل مجموعة لمحاربة القوى التي تسعى لتفكك الأمة.. بدأ أول ظهور لموسوليني في زيه الفاشي مؤشراً على أن اصطلاح «fascisma» قد حظي لدى الإيطاليين وقتها بمعان أيديولوجية واضحة.

إضرابات عمالية:

يلخص موسوليني الفاشية بقوله : (إن إرادة الشعب ليست الوسيلة للحكم.. وإنما الوسيلة هي القوة.. فهي التي تفرض القانون الذى تريده الدولة) وبناءً عليه فإن الفاشية تمنح السلطة التنفيذية أفضلية كبيرة على حساب السلطات الأخرى.

وكان نشوء المذهب في إيطاليا سابقًا حتى على تلك الاضطرابات الشهيرة التي حاول فيها العمال الاستيلاء على عناصر الإنتاج.. ومن بينها كانت أحداث صيف ١٩٢٢ التى شهدت إضراب كبير في المواصلات.. وعجزت الحكومة عن التعامل مع الأمر.. ولكن الفاشيست سيروا الحافلات.. والقاطرات.. وأنهوا الإضراب.

وفي ثورة عمالية مماثلة استولى العمال على بعض المصانع.. ومنها مصانع شركة (فيات) للسيارات مما أدى إلى شل حركة السوق الاقتصادية.. وأوشكت البلاد أن تنهار.. وعلى أثر ذلك قام موسوليني بتأييد من جماعات كبيرة وأعاد النظام إلى نصابه.. ومنذ ذلك الحين اقترنت الفاشية باسمه.

القمصان السوداء:

وكان موسوليني قد دعا في ٢٣ مارس ١٩١٩ إلى اجتماع سُميَّ فيما بعد باجتماع ميلانو وفيه أسس حزب سياسي أسماه الحزب الفاشستي.. وأصبحت الفاشية حركة سياسية منظمه بعد اجتماع ميلانو.. كان ذلك إثر فشل موسولينى في انتخابات ١٩١٩.

بعدها تمكن موسوليني من دخول البرلمان في عام ١٩٢١.

وشكلت الفاشية فرقًا مسلحة من المحاربين القدامى سميت سكوادريستي لإرهاب الفوضويين والاشتراكيين والشيوعيين.

زحف موسوليني بتظاهراته الكبرى التي كان أحياناً يشارك فيها نحو أربعين ألفاً من أصحاب القمصان السود الذين جاءوا من مختلف المدن الإيطالية ليحقق مسيرته الكبرى إلى روما المتداعية اجتماعيًا واقتصاديًا عام ١٩٢٢.. هؤلاء الذين لم يكن لهم أي وجود غداة الحرب العالمية الأولى.. فإذا بهم خلال سنوات قليلة يصل تعدادهم إلى عشرات الألوف من المضللين.. الذين يحملون هوية الحزب الذي شكله موسوليني وينعمون بالامتيازات.. وسط أوضاع متردية سياسياً واقتصادياً.. هيأت لموسوليني الذي تحول من الاشتراكية إلى الفاشية من جعل حزبه هو الأقوى في دولة متداعية ومكنه من القيام بحملة ديماجوجية حرك من خلالها الغرائز المتطرفة لعدد كبير من العاطلين عن العمل من الجنود المُسرحين.. ومن ذوي السوابق الإجرامية.. ومن فلول عصابات الإجرام المنظم مثل المافيا وغيرها فجعل لهم أيديولوجية متعصبة لدرجة التطرف ليملأ الفراغ السياسي والأيديولوجي والروحي المأزوم بسبب الهزيمة المريرة في الحرب العالمية الأولى.

وهكذا لم يتصرف رجاله وتابعوه كحزبٍ سياسي.. وإنما كرجال عنف وعصابات.. وقد لبسوا القمصان السوداء.. وقال لهم موسوليني أن عليهم معالجة مشاكل إيطاليا.. وعليهم أن يكونوا كذلك رجالاً أقوياء.. فعندما يكون هناك إضراب عمالي يأتي الفاشيست ويوسعوا أولئك العمال ضرباً.

ووصل الأمر أن طلب الأغنياء مساعدة الفاشيست لحمايتهم.. نجح الفاشيست في ذلك.. وهزموا الشيوعيين في كل مكان.. وأصبح لسان حال الشعب في ذلك الوقت يطالب بزعيم قوي مثل موسوليني ليقود البلاد. فيما يتفق مع التوجه الفاشيستي حيث كان الفاشيون يقولون:

نحن بحاجة إلى زعيم قوي لا يتردد عن سفك الدماء لفرض هيبته وسطوته على الجميع.. وكلما كان عنيفاً قوياً مرعباً كلما خاف الناس منه وكلما تعلق الفاشيون به.. وعلى هذا النحو لم يكن أمام الجميع سوى موسوليني الذى تأكد أنه قد جاء الوقت المناسب للاستيلاء على السلطة.

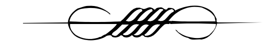
المسيرة إلى روما:

وإزاء كل ذلك طالب موسوليني بتأليف حكومة قوية إلا أن طلبه رُفض.. فألف جيشاً وقام بما يسمى «المسيرة إلى روما» حيث جمع جميع الفاشيون من كل مكان وهدد بالاستيلاء على الحكم.. واقتلع مع مجموعة أخرى من الجماهير قضبان الترام بفؤوسهم لإشعال الفتنة.. وقال لأتباعه : سوف تُعطى لنا السلطة.. وإلا سوف نأخذها بأنفسنا.. كان هذا في أحد الاحتفالات بمدينة نابولي الجنوبية .. وهدد بالمسير إلى روما تجييش الحشود.

ونتيجة لعدم تدخل الحكومة تفاقمت المشاكل فقام موسوليني مقابل دعم مجموعة من الصناعيين بالموافقة على استخدام قواته في كسر الإضراب ووقف الانتفاضات الثورية.

وعندما فشلت الحكومات الليبرالية التي ترأسها جوفاني جوليتي.. في وقف انتشار الفوضى. قامت الحكومة بتقديم استقالتها.. وطلب موسوليني من الملك فيتوري مانويلي الثالث الإيطالي أن يُشكل هو الحكومة فوافق الملك.. وأصبح موسولينى رئيساً للحكومة وكان عمره آنذاك ٣٩ سنة.. وأصبح أصغر رئيس وزراء في تاريخ إيطاليا في ٣١ أكتوبر ١٩٢٢.

وبطريقة سحرية عاد العمال لمصانعهم والطلاب إلى مدارسهم وبدأ الدوتشي رحلة للسيطرة على السلطة بحيث أصبح في النهاية هو الحاكم الوحيد الذي لا يخضع إلا للملك.



٤- موسوليني رئيسًا للوزراء

كيف صعد موسوليني بهذه السرعة لرئاسة الوزراء؟ نحاول أن نوجز مقدمات ذلك لنعرف الإجابة عن هذا السؤال .

فقد أدت الأوضاع وتطور الأحداث بشكلها المشار إليه إلى نتائج خطيرة.. وبعد تنظيم الفاشيون لمظاهرات ومسيرات التهديد «مسيرة روما» في أكتوبر ١٩٢٢.. توجه ١٤ ألف فاشي إلى روما بالقطارات والحافلات.. ونتيجة الذعر الذي شعرت به الحكومة عُرِض على موسوليني أولاً منصب وزير في الحكومة.. وناشد رئيس الوزراء الملك إعلان حالة الطوارئ.. لكن الأخير رفض.

ثم دعي فيتوري مانويلي الثالث(الملك الإيطالي) موسوليني لتأليف حكومة جديدة وكان عمره آنذاك ٣٩ سنة.. والآن أصبح موسوليني كما قلنا هو أصغر رئيس وزراء في تاريخ إيطاليا في ٣١ أكتوبر ١٩٢٢.

وبعد أن عُيِنَ موسوليني رئيساً على الحكومة.. أراد تطبيق الفاشية كنظامٍ للحكم.. وأرجع أولاً النظام إلى الدولة.. وأصلح المشاكل الاقتصادية التى تعانى منها الدولة. وأجرى تغييرات جذرية في الحياة السياسية.. ومن الأمور التي قام بها موسوليني:

- دمج الفاشية مع الدولة حيث أصبحت المؤسسات الدولية هي نفسها الفاشية.
- صادر صحف المعارضة وكذلك كافة الصحف المعارضة للتيار الجديد.
- أعطى لنفسه صلاحيات واسعة مما أدى إلى عدم وجود أي دور للملك.
- حلَّ جميع تشكيلات ونقابات العمال ما عدا النقابات الفاشية.
- أقام موسوليني جيشاً قوياً مما أدى إلى خوف جيران أوروبا وعصبة الأمم من تنامى قوته.. وطموحاته.

إيطاليا إبّان المرحلة الفاشية:

انعكست التركيبة الحياتية المتقلبة لموسوليني على خصائص الفاشية الإيطالية باعتباره زعيماً ومؤسساً لها.. حيث كان موسوليني يجمع في شخصه بين عدة تيارات مختلفة.. ومتباينة.. فقد كان في البداية نقابياً ثورياً قريباً من الماركسية ثم أصبح لاحقاً قومياً شوفينياً متعصباً جداً للقومية الإيطالية.

ولأن الديمقراطية هي ألد أعداء الفاشية.. فقد راح موسوليني يطهّر جهاز الدولة من كل العناصر الجيدة التي تسعى للديمقراطية.. ولا تؤمن بالفاشية.. أو لا تقدم السمع والطاعة للحزب الفاشي الحاكم.. وبعد أن ألغي البرلمان والانتخابات الديمقراطية الحرة في البلاد.. أصبح النظام الفاشي مفروضاً على إيطاليا تماماً بدءًا من عام ١٩٢٥.

وكان على الشعب أن يصوت للحزب الفاشيستي فقط.. وكان على الشباب أن يتعلموا مبادئ الفاشيست.. وكان موسوليني يقول لهم:

(أن تعيش يوماً واحداً مثل الأسد.. خير لك من أن تعيش مائة عام مثل الخروف) وكان على الصغار الالتحاق بمعسكرات التسييس الفاشيستية وكان يتم إعدادهم كجنود صغار وكان عليهم الالتزام بمثلث الفاشية (الإيمان .. الطاعة.. القتال).

نهب.. وقتل.. وسرقة:

وتمكن الفاشيون من أتباع موسوليني من كل شيء في إيطاليا فكان الفاشيون ينظمون غارات في الأرياف وهم في شاحناتهم.. يدخلون المزارع المعروفة بأنها اشتراكية.. فيقتلون الناس أو يعذبونهم.. وبعد أن شتتوا الحزب الشيوعي واغتالوا العديد من قادته.. وأزاحوا مؤسساته النقابية وجمعياته التعاونية.. بدؤوا حربهم الثقافية.. في طبخ كل النزعات.. والاتجاهات المختلفة في الأدب والفن في وعاء الاتجاهات القومية.. الذي تختلط فيه الفنون والآداب والدعاية.. باتجاه منغلق ومعادٍ لأية قومية أخرى.. أو اتجاه آخر وبهدف معلن هو تحرير الثقافة الإيطالية.. وتوحيد أشكالها.. ومقاييسها لتتطابق وتتجانس مع فكر الدوتشي.

واستمرت الفاشية تحكم إيطاليا حتى عام ١٩٤٥ تقريباً.. أي حتى نهاية الحرب العالمية الثانية وسقوط هتلر وموسوليني على حد سواء.. وكان ذلك يعني نهاية الفاشية والنازية في آنٍ واحدٍ معاً.. وعودة أوروبا إلى الديمقراطية الليبرالية البرلمانية.

وإذا عدنا بالأحداث للوراء قليلاً.. وفي البداية عندما بدأت الفاشية تظهر على مسرح السياسة الإيطالية بكل عنف في بدايات القرن العشرين.. فقد بدأت كظاهرة هامشية حتى عام ١٩٢٠ وكانت الحركة في بداياتها غامضة أو ملتبسة.. ولم تتضح معالمها السلبية الديكتاتورية إلا لاحقاً.

موسوليني وأول مؤتمر للفاشيين:

فعندما دعا موسوليني إلى عقد أول مؤتمر للفاشيين في الواحد والعشرين من شهر مارس عام ١٩١٩ خلُصَ الاجتماعُ إلى تشكيل الحزب الفاشي.. وكانت أفكار هذا الحزب مختلفة التوجهات ففيها نجد العصبية القومية الإيطالية.. وفيها نجد النزعة الاشتراكية التي تهتم بالعمال والطبقات الشعبية.. وفيها نجد أيضاً التوجهات الفوضوية والعدمية.. باختصار كان الحزب الفاشي خليطاً من عدة تيارات ومذاهب إيديولوجية ولم يكن منسجماً في البداية ولا مُوحداً ولا واضح المعالم على الإطلاق.

أهمها ضعف الملك:

والواقع أن وصول الفاشيين إلى السلطة في إيطاليا كان ناتجاً عن عدة عوامل.. صحيح أن إرادتهم الحديدية وأساليبهم الإرهابية ساهمت في وصولهم إلى قمة السلطة.. ولكن ينبغي ألا ننسى أن الملك وقتها كان ضعيفاً لا يستطيع مواجهتهم.. وأن الدولة كانت آخذةً في التفكك والانهيار.. لذا كانت ظروف إيطاليا المريضة تساعد على بروز الحركة الفاشية على مسرح السياسة..

فالحكومة عاجزة عن الحركة.. والجماهير هاجمت كل شيء حتى البنوك والبنايات العامة.. وحدث تمرد في بعض وحدات الجيش.. وفي سنة ١٩٢٠ وحدها شهدت إيطاليا ١٨٨٠ إضراب.. وتحولت عدة مدن وقرى صغيرة الى الشيوعية.. وشكلت لجان سوفياتية على الطريقة الروسية.. ومنذ عام ١٩٢١ بدأ الصناعيون وكبار ملاكي الأراضي بدعم الحركة الفاشية.

في هذه اللحظة بالذات قفز الفاشيون على السلطة وأمسكوا بها جيداً.. وكان ذلك عام ١٩٢٢ عندما أصبح موسوليني رئيساً للوزراء وعمره أقل من أربعين عاماً.

برنامج موسوليني الانتخابي:

وربما كان من أهم أسباب ثقة الشعب الإيطالي في هذا الوافد الثورى الجديد هو ما أذاعه كبرنامج انتخابي له أثناء انتخابات مايو من عام ١٩٢٠ والتى انتُخِبَ فيها ٣٥ فاشياً للبرلمان كان موسوليني من بينهم.. وقد أعطته ميلانو وحدها ١٣٥ ألف صوت.. نجح موسولينى وعصبته بناءً على ارتياح الإيطاليين لبرنامجه الانتخابي الذى تحدث فيه عن النظام والقانون وشرف الأمة وموقعها بين باقي الأمم.. واستعان بخلفيته الثورية ليقول أنه سيأخذ من الغني ليعطي الفقير مع حماية الملكية الخاصة.

وفي بدايات حكمه حاول موسوليني أن يظهر كسياسي معتدل يحترم الدستور.. لماذا؟ لأنه كان لا يزال ضعيفاً.. ويمكن للطبقة السياسية الليبرالية أن تقضي عليه إذا ما شعرت بأنه يهدد السلام المدني أو المبادئ الديمقراطية التي قامت عليها الدولة الإيطالية بصفتها دولة أوروبية حديثة تحترم الدستور والتعددية الفكرية والسياسية وتعتمد على المشروعية البرلمانية.

ولكن عندما تمكن من الأمر ورسخت أقدامه في السلطة.. راح يُقصي خصومه واحداً واحداً من طريقه.. ويقضي على الطبقة السياسية الليبرالية برمتها.

وهكذا استطاع أن يفرض النظام الفاشي الديكتاتوري المطلق على البلاد.. وأدى ذلك إلى خنق الحريات في إيطاليا وإرهاب الناس.. وعاشت البلاد عندئذ ظروفاً عصيبة.. وعمّ الخوف الناس.. فلم يعد أحد يستطيع أن يعبر عن آرائه السياسية بالحرية الكافية.

معبود الجماهير:

وبمرور الوقت امتلأت الساحات والشوارع بتماثيل موسوليني وبجداريات كبيرة تخلد أفعاله.. كما بدأت حركة تنظيم شاملة للأطفال والفتيان وطلبة المدارس والجامعات على استخدام السلاح وحفظ الأناشيد القومية الفاشية.

وبدأت حملة تجريد العشرات من الصحفيين من هوياتهم في النقابات الصحفية.. كما أغلقت جميع الصحف والمجلات الأدبية.. مع إجبار الناس على وضع صوره في غرف النوم.. وأن توقد العائلات الشموع في يوم ميلاده من كل عام.

كما تشكلت لجان في طول البلاد الإيطالية وعرضها من كتاب الدولة وأساتذتها لإصدار قوائم سوداء بالمثقفين المحظورين.. وبأسماء الكتب المعادية التي يجب حرقها وإتلافها ومنعها من التداول.

سياسة موسولينى الخارجية:

أخذ موسوليني يلوح بقوته الهائلة وقدرته على حماية بلاده وإن أراد تعبئة اثنى عشر مليوناً مسلحين بأحدث الأسلحة.. في حين أن الرقم الحقيقي لم يكن يتعدى المليونين.

أما الطائرات والبوارج والدبابات الثقيلة التي طالما تحدث عنها.. فلم يكن لها وجود.. فلم تكن قواته تملك سلاحاً أثقل من العربات المصفحة التي تزن ثلاثة أطنان.

وظل موسوليني يصر على« أن الفاشية لا تؤمن بإمكانية ولا بفائدة السلم الدائم.. الفاشية تفهم الحياة كواجب ونضال وقهر».

موسولينى والسلام:

السياسة الخارجية التي اتبعها موسولينى تجنبت تماماً خيار السلام.. واعتبرته ظاهرة متعفنة.. على لسان موسوليني:

«الحزب الفاشي لا يستطيع الاحتفاظ بالسلطة بإبقائه على كوادر تؤمن بنزع السلاح وإحلال السلام لأننا نؤمن بأن الحرب تشعل طاقات الإنسان إلى أقصى حد».

إذًا كانت الحرب في نظر الفاشية هي ديمومة بقاء النظام الفاشي.. وبذلك فإنها تستصغر الدول الأخرى وتقلل من شأن الأسرة الدولية والمنظمات الدولية.

كل ذلك دعّمَ لدى موسوليني فكرة إعادة مجد الإمبراطورية الرومانية القديمة.. وطموحه لتوسيع مناطق نفوذ إيطاليا.. حتى بداية الحرب العالمية الثانية.. وإقامة محور برلين- روما- طوكيو.. كانت إيطاليا قد احتلت أثيوبيا (١٩٣٥).. وحاربت مع نظام فرانكو الفاشي[(١)] في أسبانيا (بين الأعوام ١٩٣٩- ١٩٣٦).. واحتلت ألبانيا (في أبريل ١٩٣٩).

(١) فرانسيسكو فرانكو كان رئيساً فعلياً لأجزاء من أسبانيا من أكتوبر ١٩٣٦ وحتى وفاته في سنة ١٩٧٥ وصل إلى السلطة بعد الحرب الأهلية الإسبانية (١٩٣٦ - ١٩٣٩) وفي صيف سنة ١٩٣٦ وتحديداً في ١٨ يوليو ١٩٣٦ قام بانقلاب عسكري ضد حكم الجبهة الشعبية الذي كانت أسبانيا تحت حكمه وكانت تتكون من حكم الديمقراطيين والإشتراكيين وقد قاومت الجمهورية الإسبانية الثانية هذا الانقلاب ومن هنا بدأت الحرب الأهلية الأسبانية.. واستمرت الحرب لمدة ثلاث سنوات منذ سنة ١٩٣٦ إلى سنة ١٩٣٩ وبلغ عدد ضحاياها مليون مواطن.. وانتهت هذه الحرب بانتصار الجنرال فرانسيسكو فرانكو بمساعدة أساسية من هتلر وموسوليني.. وقد اعتمد فرانكو في جيشه على قوة من الجنود المغاربة الريفيين بلغ تعدادهم خمسين ألف جندي بقيادة ضابط اسمه المارشال محمد أمزيان.. وقد ظل صديقاً له.. ومقرباً إليه.. وحارساً له حتى النهاية.. وانتصاره النهائي في هذه الحرب سنة ١٩٣٩ وقد أتاح له هذا الانتصار أن يحكم أسبانيا حكما ديكتاتورياً لمدة ستة وثلاثين عاماً متواصلة حتى وفاته في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٥ وكان عمره آنذاك ٨٣ عامًا.

الثقافة الفاشية:

ولأن الثقافة الفاشية تقوم على تمجيد الفحولة والرجولة والعنف والعصبية القومية الشوفينية.. وكره النقاش الديمقراطي والتعددية.. وفرض الرأي الأوحد على الجميع.. وكره كل القيم الليبرالية القائمة على التسامح.. وحق الاختلاف في الرأي والمناقشات البرلمانية.

فالفاشيون يعتقدون أن هذه المناقشات مضيعة للوقت.. وبالتالي فلسنا بحاجة إلى برلمان ولا ديمقراطية.. فسرعان ما سيطرت الثقافة الفاشية على عقول الناس في إيطاليا.. وتفاعلوا معها.. وانتشرت بينهم.

وعلى هذا النحو أيضاً اختفت السياسة العقلانية التنويرية من إيطاليا وحلت محلها الثقافة الاستبدادية والمغامرة المتهورة.. واضطر معظم المثقفين للخضوع لموسوليني وحزبه الفاشي.. بل إن بعضهم فعل ذلك عن طيب خاطر معتقداً بأن الفاشية هي مستقبل إيطاليا.

وهكذا خسر الشعب الإيطالي الكثير من قيمه الراقية وتحول إلى شعب مُستعبد يصفق للديكتاتور إما حباً له أحياناً.. وإما خوفاً منه في أكثر الأحايين.

ولم يتحرر هذا الشعب الذي صنع النهضة الأوروبية إلا بعد سقوط الديكتاتورية أو الفاشية التي لم تكن إلا فاصلاً قصيراً في تاريخه الطويل العريض.. والواقع أنها لم تستمر إلا عشرين سنة أو أكثر قليلاً.. بعدئذ عادت إيطاليا إلى الديمقراطية والحرية من جديد.

ملاحظات على فاشية إيطاليا:

هناك ملاحظات عدة يمكن أن نسجلها على فاشية إيطاليا منها :

- يذكر المؤرخون أن الفاشية الإيطالية نشأت كنتيجة مباشرة لخيانة الإصلاحيين للانتفاضة البروليتارية الإيطالية.. فمنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى كان هناك ميلاً صاعدًا للحركة الثورية في إيطاليا.. أدى في سبتمبر ١٩٢٠ إلى الاستيلاء على المصانع والصناعات من قبل العمال.. والسيطرة على مدينة بولونيا.
- انطلقت الفاشية من بين الأزمات السياسية والاجتماعية فجعلت من القومية العِرقية أو من الهوية الطبقية أو الدينية حلاً.. وتوحد الجمهور تحت عصبية إيديولوجية.
- وفلسفة بنيتو موسوليني كانت تقوم على شعار: «الكل لأجل الدولة.. لا شيء خارج الدولة.. لا شيء ضد الدولة».
- أول ظهور حقيقي للفاشية في إيطاليا نهاية القرن التاسع عشر على الأقل وذلك حين ظهرت في صقلية جماعات تعرف بفاشيي إيطاليا وكان هدفها مناهضة النظام الإقطاعي.. وأصبحت حركة سياسية منظمه بعد اجتماع ميلانو في ٢٣ مارس ١٩١٩حيث شُكِّل الحزب الفاشي على يد موسوليني.. وانتقلت كذلك إلي ألمانيا بتشكيل حزب العمال الألماني الوطني الاشتراكي الذي عُرِف بالنازية سنة ١٩١٩ بزعامة هتلر، وأصبح هتلر سنة ١٩٣٣ المستشار الألماني.
- من سمات الفكر الفاشي مناهضة المذهب العقلاني والتأكيد على تفوق أمة معينة على جميع أمم العالم وقد عبر هتلر عن هذا الفكر بتفوق الجنس الآري الألماني والاعتقاد بأن الألمان هم «عنصر الأسياد». وتؤمن الفاشية بخضوع الفرد التام للدولة ولا تسمح بوجود مجتمع مدني ولا ديني وتعتقد أن في ذلك تهديداً لقوة الدولة.. وتهدف أيضاً إلى الإساءة السياسية للخصوم ولها آراء منافية ومخالفة للمنظمات الأيديولوجية الليبرالية.

٥- موسوليني وأحلامه التوسعية

موسولينى وليبيا:

تسلم موسوليني زعامة إيطاليا.. وألقى ببصره بعيداً إلى أفريقيا.. حيث ليبيا.. أهم الدول التي دفعت فاتورة أحلام موسوليني التوسعية فغير موسوليني سياسة إيطاليا اللينة هناك.. ولجأ إلى الشدة.. فنقض الاتفاقات المعقودة سابقاً مع الليبيين.. ورفض الاعتراف بالمحاكم الشرعية في المناطق التي يسيطر عليها الطليان.. وأبى إلا أن يكون الجميع خاضعاً لإيطاليا.. وعين لهذا الغرض حاكماً جديداً هو «جيوفاني» ومنحه سلطة مطلقة في حكم ليبيا.. وزوده بصلاحيات واسعة.. وجيش كبير بقيادة اللواءين «جرتزيانى» (١) واللواء «بادوليو».

(١) رودولفو جرتزيانى نائب الملك الإيطالي في أثيوبيا ومارشال إيطالي عام شخصية سياسية إيطالية.. كان المسؤول العسكري الإيطالي الذي قاد القوات الإيطالية في أفريقيا قبل وأثناء الحرب العالمية الثانية وأحد مجرمي الحرب المسؤولين عن مصرع آلاف من الأثيوبيين والليبيين المدنيين.من مواليد فيليتينو إقليم لاتزيو (قرب إتنا) بوسط إيطاليا وُلِدَّ لعائلة إيطالية ليس لها أي تقاليد حربية وجه من قبل والده لدراسة العلوم الدينية في معهد ديني بمدينة سوبياكو بإقليم لاتزيو ..لكنه لم يستمر مفضلاً الانخراط في الخدمة العسكرية بالكتيبة ٩٤ مشاة بروما.. في ١ مايو ١٩٠٤م تمت ترقيته إلى رتبة ملازم أول وأرسل مع الكتيبة ٩٢ مشاة إلى مدينة فيتربو.. في عام ١٩٠٨ أرسل إلى أرتريا.. حيث تعلم اللغتين التغرينية والعربية.. الأمر الذي أفاده فيما بعد.. شارك في الحرب الإيطالية التركية.. رقي لرتبة رائد وشارك في الحرب العالمية الأولى.. جرح عدة مرات.. حصل على وسام البسالة العسكرية.. في عام ١٩١٨م وبعمر ٣٦ عاما رقي لرتبة عقيد.. ليكون حينها أصغر عقيد في الجيش الإيطالي.. لكنه بعد غياب موسوليني وانهيار الحكم الفاشي.. قبض عليه الطليان وحاكموه وأذلوه ووضعوا الحديد في يديه كما فعل مع عمر المختار.. وقد لقي من الإهانة والأذى ما يجل عنه الوصف.. وكان أصدق وصف لهذا الدموي ما قاله عنه الملحق العسكري الألماني في روما وهو إينو فون رنتيلين حيث كتب لحكومته يقول: «إن جراتسياني أقام شهرته في ليبيا والحبشة في معارك مع مقاومة شعبية سيئة التسليح لكنها غنية في شجاعتها.. لكن هذا الدعي حين وضع في مواجهة جيش نظامي مسلح بأحدث الأسلحة انكشفت قدراته الحربية الحقيقية.. فإذا به يتحول من أسطورة إلى أضحوكة.. في نهاية الحرب قضى- جرتزيانى بضعة أيام في سجن سان فيتورى في ميلانو=

فأمر المفوّض السامي الإيطالي الجديد بحل معسكرات القبائل في ولاية برقة الليبية.. وأمر قواته باحتلال مركز القيادة السنوسية في أجدابيا في عام ١٩٢٣م.

أثناء محاولاته اليائسة تنفيذ خطته في ترسيخ الاستيطان الاستعماري في ليبيا.. قتل أكثر من مائتى ألف من المواطنين الليبين طوال ثلاث سنوات فقط قبل عثوره على الثائر عمر المختار واعتقاله.. ومن ثم إعدامه يوم ١٦ سبتمبر ١٩٣١ بمركز «سلوق» في بنغازي.

وقد واصل الإيطاليون بتعليمات موسوليني استباحتهم للشعب الليبي.. فتضاعف عدد الشهداء.. إضافة إلى مصادرتهم الأراضي الليبية من أصحابها.. وشجعوا هجرة الإيطاليين إلى ليبيا وأمدوهم بالأموال وفتحوا لهم المدارس.

وفي ٩ نوفمبر ١٩٣٩ أي قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية بتسعة أشهر فقط.. أصدر موسوليني مرسوماً بضم ليبيا (طرابلس وبرقة) وجعلها جزءاً من الوطن الأم .. مع منح السكان الجنسية الإيطالية.. وإلزامهم بتعلم اللغة الإيطالية.. وأمر بإلقاء كثيراً من الناس من الطائرة وهم أحياء إلى غير ذلك من الأعمال الوحشية.

سفاحون حول موسولينى:

في العشرينات.. تولى جرتزيانى قيادة القوات الإيطالية في ليبيا وعهدت إليه محاولة إخضاع المجاهدين الليبيين.. وخلال ما سُمِيَّ «بالتهدئة» تم إنشاء العديد من معسكرات العمل والمعتقلات الجماعية التي مات فيها عشر-ات الآلاف من السجناء الليبيين من الجوع أو المرض.. إذا لم يقتلوا شنقًا أو إعدامًا بالرصاص.

=قبل أن ينقل إلى سيطرة الحلفاء.. ثم أعيد إلى أفريقيا وبقى هناك حتى فبراير ١٩٤٦ في سجون الحلفاء في محاولة لحمايته من الاغتيال.. وبعد إعادته إلى السجن بروسيدا في إيطاليا حكمت عليه محكمة عسكرية في عام ١٩٥٠ بالسجن لمدة ١٩ سنة عقابا له على التعاون مع النازيين لكنه أطلق سراحه بعد أن قضى بضعة أشهر في السجن.. ومات في أحد المستشفيات.. توفي في روما.

جزار أثيوبيا:

في أثناء الحرب الإيطالية-الأثيوبية الثانية (١٩٣٥: ١٩٣٦) تولى جرتزيانى قيادة الجيوش الإيطالية التي اجتاحت أثيوبيا.. ثم نجا من محاولة اغتيال في ١٩ فبراير ١٩٣٧ ليصبح معروفًا باسم «جزار أثيوبيا» عقب موجة القمع الدموي التي تلت ذلك.بدأ حياته ضابطا صغيرا.. واختير ليكون أحد الضباط المحاربين في ليبيا وكان برتبة عقيد.. واستطاع هذا الدموي الرهيب أن يبني شهرته على أجساد وجماجم الليبيين.. وكان إثر كل مجزرة ينفذها برجال ونساء ليبيا.. تزداد شهرته بين أبناء شعبه وتترقى رتبه العسكرية.. فغدا نجمًا ساطعًا في سماء إيطاليا.. والبطل الذي لا يعرف الهزيمة.. وكان جراتسياني يفتخر ويتباهى بأعماله الوحشية.. مؤكدا بأن «أستاذه ومثله الأعلى كان السياسي الإيطالي المراوغ ميكافيللي»..حيث يقول عنه بالخصوص : «كلما نسبت أعمالي للوحشية فإني أردد ما جاهر به ميكافيللي العظيم».. قائلاً: «كي يحتفظ الأمير بهيبته عليه ألا يعبأ بعار القسوة».. ويعترف أيضاً بأن ضميره لم يؤنبه للحظة واحدة عن أعماله الدموية بأفراد الشعب الليبي فيقول: لم يحدث أن نمت ليلة هانئة.. مثل الليلة التي أكون قد راجعت فيها ضميري.. فيما يقولونه عن قسوتي ووحشيتي.

بادليو:

كان بادوليو حاكم ليبيا العام.. ورئيس جراتسياني المباشر.. وقد خطط الاثنان بدعم من موسوليني لإبادة الشعب الليبي قتلاً وتهجيرًا.. وقد تفنن هذان المجرمان في ابتكار الوسائل لتحقيق ذلك المخطط الرهيب.. فأقاما المحكمة الطائرة التي كانت هيئتها تنتقل من مكان إلى آخر بطائرة خاصة لتحكم بشنق الليبيين على الفور رجالاً ونساء في محاكمات صورية.. كما أنهما وراء إقامة المعتقلات الجماعية الرهيبة للآلاف من الليبيين.. بخاصة سكان الجبل الأخضر..

وقد حشروا فيها أكثر من مئة ألف مواطن معظمهم من النساء والشيوخ والأطفال.. كما أن أكثر هؤلاء المعتقلين ماتوا في معتقلاتهم جوعًا ومرضًا وقهرًا.. أو برصاص الطليان ومشانقهم.. وكان جراتسياني يقول حين يجد من يعارضه في عمليات الاعتقال الوحشية هذه: «لقد قررت وصممت.. ولن أتراجع حتى ولو أدى هذا الإجراء إلى فناء أهالي برقة جميعهم».. وقد ذكر أحد المواطنين الليبيين: «أن خمسين جثة من الليبيين كانت تخرج كل يوم من معتقل العقيلة الذي كنت معتقلاً فيه.. وتدفن في حفرة بشكل جماعي.. أجل خمسون جثة يوميًا كنا نعدها دائمًا وهؤلاء ماتوا إما شنقًا أو رميًا بالرصاص أو أهلكهم الجوع أو المرض». وتمت مداهمة نجوع الليبيين من قبل الجنود الإيطاليين.. وإجبار سكانها على ترك أراضيهم وممتلكاتهم وسوقهم في قوافل إلى المعتقلات الجماعية المخصصة لهم وكان أشد المعتقلات قسوة هو معتقل العقيلة الشهير الذي اعتقل فيه المجرمون الأكثر خطورة على إيطاليا وأقارب المجاهدين وكانت أهم القبائل التي دخلت المعتقل قبيلة المنفة وهي قبيلة شيخ الشهداء عمر المختار التي ذاقت أشد أنواع القهر والعذاب ..وعلى سبيل المثال فإن أفراد قبيلة العواقير جمعهم الطليان وأجبروهم على السير على الأقدام إلى مسافة تصل إلى ٣٠٠ كيلومتر في طرق وعرة أو صحراوية وفي مناخ قاس شديد الحرارة.. وكان حين يبطئ كبار السن والضعفاء في المسير.. يعمد حراسهم الإيطاليون إلى أخذهم جانبًا.. وإعدامهم رميًا بالرصاص.. لأن أوامر جراتسياني كانت شديدة.. بحيث لا تسمح بأي تأخير للوصول إلى المواقع المقررة لاعتقالهم.. لكن رحلة العذاب والموت هذه لم تكن إلا البداية فالذين وصلوا أحياء كان ينتظرهم مسلسل آخر للآلام والإهانة والقهر. قاد جراتسياني عملية الهجوم على مدينة الكفرة مشرفًا على الفظائع التي ارتكبت فيها من قبل جنود الطليان ضد الليبيين المسالمين..

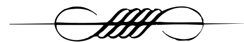
وكان جراتسياني يأمر طياريه بإلقاء قنابل الغازات السامة مثل غاز الفسجين الذي هو مركب من الكربون والكلور.. وهو من أشد الغازات فتكًا.. لأنه أثقل من الهواء ثلاث مرات ونصف.. وبالتالي يبقى في شكل سحابة غاز ملامسة للأرض.. كما أنه أكثر سمية من الكلور ١٥ مرة.. ويوصف بأنه قاتل للإنسان الذي يبقى عشر دقائق يتنفس هواء يحتوي على ٤٥مم من هذا الغاز في المتر المكعب الواحد من الهواء.. ويمكن أن يكون مميتًا حتى ولو كان تركيزه أضعف من ذلك.

ويورد المؤلف واحدة من الإحصائيات عن نشاط الطيران الإيطالي ضد الليبيين في الفترة ما بين يناير ١٩٢٤ إلى يونيو ١٩٢٥.. وقذف الليبيين بالقنابل والغازات السامة وملاحقتهم بالرشاشات وقام الطيران الإيطالي في تلك الفترة بـ ٣١٠٣ طلعة في مجموع ساعات طيران بلغت ٢٦٣٠ ساعة.. قطع خلالها ٤٠٠ ألف كيلومتر.. وقذف فيها ٢٢٧٧٠ أنبوبا متفجرًا.. و٤٧٦٤٩ قنبلة حارقة ومتفجرة من بينها الكثير من الغازات السامة.. وقد مات المئات من الليبيين خنقًا بهذه الغازات المحرمة عالميًا. وهكذا فقد تم على يد هذا السفاح قتل الألوف من الشعب الليبي.. وكان من بينهم الشهيد البطل عمر المختار. وكان قد تولى قيادة الجيش العاشر الإيطالي المرابط في ليبيا.. وأصبح القائد العام لليبيا المحتلة بعد وفاة بالبو في حادث تحطم طائرة في ٢٨ يونية ١٩٤٠ وبعد إعلان الحرب أمر موسوليني جرتزيانى باجتياح مصر.. ورغم شكوكه حول قدرة الجيش الإيطالي على مواجهة القوات البريطانية.. أمر جرتزيانى الجيش العاشر بالهجوم في ١٣ سبتمبر. الحرب العالمية الثانية كشفت مدى تفاهة هذا الرجل وجبنه وعدم أهليته القتالية.. حين تسبب في إلحاق هزيمة مذلة بإيطاليا في أول معركة له مع الإنجليز على الحدود الليبية المصرية.. وتوالت هزائمه حتى تمت تنحيته.. وبسبب ما ألحقه بسمعة إيطاليا من عار.. قررت لجنة تحقيق إيطالية عليا إحالته إلى محكمة الحرب.. لكن موسوليني منع محاكمته.

وفيما بعد يمكننا القول أن جرتزيانى كان هو المارشال الإيطالي الوحيد الذي بقى وفياً لموسوليني.. ثم عين وزيراً للدفاع في الجمهورية الإيطالية وتولى قيادة القوات الإيطالية الألمانية المختلطة.

غزوه أثيوبيا:

وفي أكتوبر ١٩٣٥ غزا موسولينى أثيوبيا دون إعلان حرب.. على اعتبار أنها أقل من أن تستحق هذا الشرف.



٦- بين هتلر .. وموسوليني.. تحالف الطغاة

كان موسوليني يريد لإيطاليا أن تكون دولة عظمى وكان مستعداً لخوض الحروب من أجل ذلك.. فصادق الزعيم الألماني أدولف هتلر الذي كان معجباً به أشد الإعجاب.

الحلف الفولاذى:

وفي سنة ١٩٣٩ عقدت إيطاليا وألمانيا معاهدة سميت بالحلف الفولاذي.. وكانت إيطاليا في حاجة إلى أربعة سنوات حتى تستعد للدخول في الحرب ولكن الحرب نشبت بعد ذلك بعامين فقط.. ولم يكن موسوليني كثير القلق بخصوص الحرب لأنه ظن أنها ستنتهي في عدة أشهر بانتصار ألمانيا.

كانت شرارة الحرب العالمية الثانية النزاع (الألماني – البولندي) حول ممر وميناء دانتزج الواقع بين حدود البلدين.. إلا أن الأسباب الحقيقية لتلك الحرب كانت أبعد من ذلك.. إذ يرجع بعضها إلى تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى.. والتي أدت إلى تغير في رسم خريطة العالم.. وبخاصة أوروبا.. فأبرمت معاهدات عقابية أخذت طابع الانتقام ضد ألمانيا.. ودفعت بأحد أعضاء الوفد الألماني في مؤتمر الصلح في «فرساي» إلى القول للحلفاء: «سنراكم مرة ثانية بعد عشرين عامًا».. وصدقت نبوءة الرجل.. فكانت الحرب العالمية الثانية التي طالت أغلب دول العالم.. وكانت الأعنف في حروب البشر وصراعاتهم.

ألمانيا وتداعيات صلح فرساي:

كان الألمان يأملون في صلح عادل بعد هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى.. غير أن هذا الصلح كان بمثابة قاصمة للشعب الألماني.. إذ خسرت ألمانيا ١٢,٥٪ من مساحتها.. و١٢٪ من سكانها.. وحوالي ١٥٪ من إنتاجها الزراعي.. و١٠٪ من صناعتها.. و٧٤٪ من إنتاجها من خام الحديد.. وتقلَّصت مساحة السواحل الألمانية على بحر البلطيق وبحر الشمال..

ونصَّ هذا الصلح أيضاً على الحيلولة دون قيام الوحدة بين ألمانيا والنمسا التي تضم أكبر مجموعة من الألمان تعيش خارج ألمانيا.. ودخل نحو مليوني ألماني في حدود بولندا.. ونحو ثلاثة ونصف مليون ألماني في حدود دولة تشيكوسلوفاكيا التي نشأت بعد الحرب العالمية الأولى.. وكانت هذه الأقليات الألمانية سببًا في عدم الاستقرار.. وفرضت على ألمانيا تعويضات قُدِّرت بستة مليارات وستمائة مليون جنيه بخلاف فوائدها.

وحددت معاهدة «فرساي» الجيش الألماني بألا يزيد عدده على مائة ألف.. وحددت سفن الأسطول الألماني.. وحرمته من امتلاك سلاح الجو.. مع دفع تعويضات ضخمة للحلفاء.. وبالإضافة إلى ذلك تقرر أن تخلي ألمانيا المناطق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الراين بعرض ثلاثين ميلاً من القوات العسكرية.. وكانت فرنسا تريد فصل هذه المنطقة عن ألمانيا.. وإقامة دولة مستقلة فيها تكون حاجزاً بينها وبين ألمانيا التي أُجبرت على التخلي عن مستعمراتها فيما وراء البحار.

وأصبحت ألمانيا بعد هذا كله لا حول لها ولا قوة.. أما فرنسا فرأت أن ألمانيا لم تتحطم بعد.. فأقدمت في عام ١٩٢٣ على احتلال إقليم «الروهر» الألماني الغني بالمناجم.. وعللت ذلك بأن هذا الأمر سيرغم ألمانيا على دفع التعويضات.

صعود هتلر:

هذه الضربات المتلاحقة للاقتصاد الألماني تسببت في عدم وجود استقرار سياسي.. ثم تعمقت هذه الأزمات سنة ١٩٢٩ عندما تعرض العالم لأزمة اقتصادية طاحنة بدأت في الولايات المتحدة.. وانتقلت منها إلى جميع دول العالم.. إلا أن ألمانيا كانت معاناتها أشد.. إذ توقفت أغلب مصانعها.. وزاد عدد العاطلين بها على ستة ملايين عامل.. وانتشرت روح القلق والسخط في نفوس العمال.. وخرجت المظاهرات ترفع الأعلام الحمراء (التي كانت تعبر عن الشيوعية)..

فتطلعت الأنظار إلى حزب العمال الاشتراكي الوطني الذي يرأسه أودلف هتلر.. وانضم إليه الجنود القدامى.. وكثير من أرباب المهن.. وأُعجب هؤلاء بالنازية التي تنادي بتوحيد الألمان في دولة واحدة تتساوى مع الدول الكبرى.. وإلغاء معاهدات الصلح المهينة.. وإبعاد اليهود والأجانب من الحياة الاقتصادية والاجتماعية في ألمانيا.. واتخذ هذا الحزب من شارة الصليب المعقوف رمزًا له.

وتضاعف عدد النازيين أثناء الأزمة الاقتصادية.. فحصل حزب هتلر على المركز الثاني في مقاعد «الرايخستاج»[1] عام ١٩٣٠ ثم حصل هتلر على أغلب الأصوات (٢٤ مليون صوت) في انتخابات ١٩٣٢ وتولى منصب المستشارية (رئاسة الوزراء) في ألمانيا في يناير ١٩٣٣.

ولم يكد هتلر يتسلم مهام منصبه حتى عزم على السيطرة على زمام الحكم في البلاد.. فاستصدر أمرًا بحل «الرايخستاج» وإجراء انتخابات جديدة.. وبدأ في عملية إرهاب ضد أعدائه ومعارضيه خاصةً الشيوعيين منهم.

ثم أعلن أن الحزب الوطني النازي هو الحزب القانوني الوحيد في البلاد.

بعدها سنة ١٩٣٤ تولى منصب الرئاسة في ألمانيا مع احتفاظه بمنصب المستشارية.. وكان ذلك تمهيداً لإندلاع الحرب العالمية الثانية.

تكوين المحور:

جاء تكوين المحور بسبب فساد العلاقات بين إيطاليا وكل من بريطانيا وفرنسا.. بسبب احتلال إيطاليا للحبشة.. بالإضافة إلى عوامل أخرى.. منها التشابه الأيديولوجي بين النازية والفاشية.. وحاجة الدولتين إلى التوسع الخارجي لامتصاص الزيادة السكانية.. وجاءت الحرب الأسبانية لتوحد جهودهما.

(١) البرلمان الألماني.

محور روما - برلين:

وجاء أول ذكر لكلمة المحور في خطاب ألقاه موسوليني في نوفمبر عام ١٩٣٦م وفي نفس الشهر وقَّعت إيطاليا واليابان وألمانيا معاهدة ضد الشيوعية.. ثم تطورت عام ١٩٣٩م إلى تحالف سياسي وعسكري كامل عُرف باسم «محور روما-برلين».. ويقضي- بتوسع إيطاليا في البحر المتوسط.. وتوسع ألمانيا في وسط وشرقي أوروبا.

ثم بدأت عملية استقطاب دولي سريع في تلك الفترة بين المعسكرين الكبيرين (المحور والحلفاء).. فانضم إليهما كلٌ من : اليابان.. ثم المجر.. بلغاريا.. رومانيا سلوفاكيا.. كرواتيا.. وذلك في مقابل الحلفاء ويأتي في مقدمتهم بريطانيا وفرنسا.

اندلاع الحرب العالمية الثانية:

وتطورت الأحداث.. فاحتل هتلر النمسا في (مارس ١٩٣٨م) ودمجها في ألمانيا.. وهو ما عُرف باسم «الرايخ الثالث».. ثم سيطر على تشيكوسلوفاكيا في العام التالي.. وأخذ يتحول إلى ابتلاع بولندا.

وفي الوقت نفسه قامت إيطاليا بغزو ألبانيا.. ووقَّعت روما وبرلين ميثاقًا عسكريًا يقضي- بأنه إذا تورطت إحدى الدولتين في الحرب مع دولة أخرى أو مجموعة من الدول.. فإن الدولة الأخرى تسارع إلى مساعدتها كحليفة.. وتقدم لها ما يلزمها في البر والبحر.. وفي المقابل حدث تقارب (فرنسي – بريطاني) مماثل.. وتعهد الإنجليز بضمان استقلال بولندا.

والمعروف أن رئيس الوزراء البريطاني تشمبرلين لم يقف موقفًا حاسمًا من احتلال هتلر لتشيكوسلوفاكيا.. ولم يتقبل دعوة الرئيس السوفيتي ستالي بعقد مؤتمر دولي من الدول الكبرى لضمان حماية أوروبا الوسطى وشرق أوروبا.. وذلك لأن بريطانيا كانت تخشى من الخطر الشيوعي وسيطرته على أوروبا.. وعندما اشتدت الأطماع الألمانية في بولندا.. لم تفلح جهود بريطانيا وفرنسا في إقناع بولندا بمرور الجيش السوفيتي في أراضيها..

وقال وزير خارجية بولندا:

«إننا مع الألمان نفقد استقلالنا.. ومع السوفيت نفقد روحنا» .

وأمام ذلك الأمر وقَّع الاتحاد السوفيتي مع ألمانيا في (أغسطس ١٩٣٩م) معاهدة عدم اعتداء وكان هذا الميثاق بمثابة الضوء الأخضر لألمانيا للهجوم على بولندا.

وفي (١ سبتمبر ١٩٣٩م) كانت القوات الألمانية تجتاز الحدود البولندية.. وتشعل شرارة الحرب العالمية الثانية.. وبدا واضحًا في البداية أن بريطانيا وفرنسا هما الخاسرتان من الحرب مهما كانت نتائجها.. واضطُّرت الدولتان إلى توجيه إنذار نهائي لألمانيا في اليوم الثالث لدخولها بولندا.. وبدأت الحرب تستعر.. واستطاع الجيش الألماني دخول الدانمارك والنرويج وهولندا وبلجيكا وفرنسا والبلقان.. لكنه فشل في احتلال بريطانيا.. بعد المعارك الجوية الرهيبة بين الألمان والإنجليز.. وفشلت الغواصات الألمانية في قطع طرق مواصلات الإمبراطورية البريطانية فيما وراء البحار.. وارتكب هتلر خطأ كبيرًا حين تحول لمهاجمة الاتحاد السوفيتي في (يونيو ١٩٤١م) تاركًا بريطانيا خلف ظهره.. وهي القاعدة الاستراتيجية التي يمكن أن توجه منها الهجمات إليه.

بيرل هاربور:

وفي تلك الأثناء قام اليابانيون بمهاجمة الأسطول الأمريكي في المحيط الهادي في ميناء بيرل هاربر.. وأغرقوا كثيرًا من قطعه.. ثم انطلقوا في جنوب شرقي آسيا.. وأصبحوا على مقربة من أستراليا.. وحتى أوائل (١٩٤٢م) كان المحور لا يزال يحقق انتصارات في كل مكان.

معركة العلمين:

أما الغرب والحلفاء فكانوا في أقصى درجات الانهيار.. واخترقت القوات الألمانية شمال أفريقيا نحو الشرق الأوسط.. في محاولة للاتصال باليابانيين في الهند.. لكنها هُزمت في معركة «العلمين» الشهيرة.

معركة ميداوي:

وقبل نهاية عام (١٩٤٢م) كانت الصورة قد تغيرت.. حيث هُزم الأسطول الياباني في معركة (ميداوي).. ثم هُزم القائد الألماني روميل في العلمين.

وبعد بضعة أشهر كانت القوات الألمانية تستسلم في ستالنجراد بالاتحاد السوفيتي مسجلة بذلك نقطة تحول رئيسية في الحرب الألمانية السوفيتية.

وبدأ الحلفاء في غزو ألمانيا.. حيث عبر الروس في (ديسمبر ١٩٤٤م) الحدود الألمانية لأول مرة.. واستمر الحلفاء في التقدم رغم بسالة الألمان في الدفاع عن دولتهم وخسارتهم مئات الآلاف من القتلى.. وأصبح قلب ألمانيا مفتوحًا.. فتدفق داخله السوفيت والأمريكان.. كذلك نجح الحلفاء في دخول روما.. ثم أُعدم الثوار الإيطاليون «موسوليني».. أما هتلر فقد انتحر في (٣٠ إبريل ١٩٤٥م).. ووقَّع ممثلو ألمانيا وثيقة الاستسلام بلا قيد أو شرط.

وفقدت اليابان وقّعت وثيقة الاستسلام بدون قيد أو شرط في (٢ سبتمبر ١٩٤٥م) بعد إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكي.. وبعدها بثلاثة أيام رُفع العلم الأمريكي فوق طوكيو.. وانتهت بذلك رسميًا الحرب العالمية الثانية بعد ست سنوات من القتال الشرس.. خسرت فيه البشرية حوالي (١٧) مليوناً من العسكريين وأضعاف هذا العدد من المدنيين.



٧- أثر الحرب العالمية الثانية على إيطاليا والعالم

بدأت الحرب العالمية الثانية في ٧ يوليو ١٩٣٧ في آسيا و١ سبتمبر ١٩٣٩ في أوروبا.. عندما وضعت أوزارها.. وأسدلت النهاية على تلك الصفحة المهمة والمدمرة من تاريخ البشرية في عام ١٩٤٥ كانت فاتورة الحساب ثقيلة للغاية ليس على الدول المشاركة في الحرب فقط.. وإنما على جميع دول العالم.. وكانت.. وما زالت البشرية تدفع الثمن.. وتسدد ذلك الحساب.

وكانت إيطاليا واحدة من الدول التى دفعت الثمن غالياً.. ثمن نزق.. واندفاع.. وتهور «موسولينى» ذلك الطاغية الذى حكمهم لسنوات..

وإذا أردنا أن نلخص – لاحظ نلخص فقط – أحداث تلك الحرب لاحتجنا إلى مجلدات.. حيث تعد الحرب العالمية الثانية من الحروب الشموليةً وأكثرها كُلفة في تاريخ البشريةً لاتساع رقعة الحرب.. وتعدد مسارح المعارك والجبهات.. فكانت أطراف النزاع دولاً عديدة.. والخسائر في الأرواح بالغة.. وقد ولكن سوف نكتفى فقط هنا بذكر أهم الأحداث والتأثيرات الناجمة عن تلك الحرب التى يمكننا أن نقسم الحرب إلى جزأين:

- **الجزء الأول :** كان في قارة آسيا عام ١٩٣٧ (الحرب اليابانية).
- **الجزء الثاني :** كان في قارة أوروبا عام ١٩٣٩ وبدء بالغزو الألماني على بولندا..

أدى هذا التشابك العسكري إلى انقسام العالم إلى طرفين أو قوتين.. الحلفاء Allies والمحور Axis.

- شارك فيها أكثر من ١٠٠ مليون جندي..
- أُزهِقت فيها زهاء ٧٠ مليون نفسٍ بشريةٍ بين عسكري ومدني.
- خسائر المدنيين في الأموال والأرواح كانت أكثر من أي حرب عبر التاريخ..

- ويعزى السبب المباشر لذلك في القصف الجوي الكثيف على المدن والقرى الذي ابتدعه الجيش النازي مما استدعى الحلفاء الرّد بالمثل.. ففي عام ١٩٤٢ استطاع الخبراء في بريطانيا بأن يجعلوا ١٠٠٠ قاذفة قنابل تقصف فوق مدينة ألمانية واحدة.. فسقط من المدنيين الملايين من كلا الطرفين.. وعندما جاءت الولايات المتحدة إلى الحرب عام ١٩٤٢بدأت بريطانيا وأمريكا بتبادل القصف بينهم ليكون قصفاً بريطانياً في الليل يتبعه قصفا أمريكيا في النهار على المدن الألمانية.. وفي ١٤ فبراير ١٩٤٥ سجلت أكبر الحرائق في التاريخ على مدينة دريسدن وذلك بتكوين عاصفة نار إثر القصف أدت إلى مقتل مابين ٢٥ :٣٥ ألف إنسان.. غير أن القصف على مدينة هامبورج يوليو ٢٤ – ٢٩ عام ١٩٤٣ والقصف على مدينة طوكيو اليابانية ٦ أغسطس عام ١٩٤٥ وناجازاكي ٩ أغسطس عام ١٩٤٥ بالقنابل الذرية قتلت أناسا أكثر بضربة واحدة.. أضف إلى ذلك المذابح التي ارتكبها الجيش الياباني بحق الشّعبين الصيني والكوري إلى قائمة الضحايا المدنيين ليرتفع عدد الضحايا الأبرياء والجنود إلى ٥١ مليون قتيل.. وقامت خلالها البلاد المشاركة باستخدام المدنيين في خوض المعارك كجنود وفيالق في ساحات الحرب.. وتشير التقارير أن ثلثي الذين قتلوا كانوا من المدنين.. أي ما يعادل ٢٪ من تعداد سكان العالم في تلك الفترة.
- قُدِرت الكلفة المالية للحرب عام ١٩٤٤ بتريليون دولار أمريكي مما جعلها أغلى حرب من حيث التكاليف والأرواح.
- قامت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بتشكيل أكبر قوتين في العالم والذي أدى إلى قيام ما يسمى بالحرب الباردة بينهما والتي امتدت إلى ٤٥ عاماً انتهت بسقوط الاتحاد السوفيتي عام ١٩٨٩.

أسباب قيام الحرب بالنسبة لإيطاليا والعالم:

- شعرت إيطاليا بخيبة أمل كبرى لأن مقررات مؤتمر باريس لسنة ١٩١٩ تجاهلت طموحاتها الاستعمارية.
- بروز عدة مناطق توتر بسبب تأجج الشعور القومي وخاصة بمنطقتي السوديت والممر البولوني مما خلف ضغائن وأحقاد كانت من أهم أسباب قيام الحرب العالمية الثانية .
- قيام حرب تجارية ساهمت بقسط كبير في توتر العلاقات الدولية.. بعد اعتماد تنظيم اقتصادي خاص يرتكز على الحد من الإستيراد وتشجيع التصدير عبر التخفيض من قيمة النقد .
- أبرزت أزمة الثلاثينات الاقتصادية تفاوت اقتصادي كبير بين الأنظمة الديمقراطية (فرنسا.. بريطانيا.. الولايات المتحدة الأمريكية) التي كانت تحتكر بمفردها ٨٠٪ من الرصيد العالمي للذهب وتملك إمبراطوريات استعمارية ومناطق نفوذ شاسعة.
- اعتبرت الأنظمة الدكتاتورية (إيطاليا.. ألمانيا.. اليابان) نفسها دولاً فقيرة وطالبت بإعادة تقسيم المستعمرات لضمان ما أسمته بالمجال الحيوي الأمر الذي أدى إلى تضارب المصالح وتزايد حدة التوتر في العلاقات الدولية وشكل تهديدًا مباشرًا للسلام العالمي .
- احتلال مقاطعة منشوريا الواقعة بالشمال الشرقي للصين من قبل اليابان سنة ١٩٣١ دون أن يصدر عن المنظمة الدولية أي رد فعل حاسم .
- فشل مؤتمر جنيف لنزع السلاح والحد من خطورة التسابق نحو التسلح وانسحاب ألمانيا من عصبة الأمم سنة ١٩٣٣ تعبيراً عن تمسكها بشرعية مطلبها في إعادة بناء قوتها العسكرية وإلغاء ما تضمنته معاهدة فرساي من بنود مجحفة في حقها.

• احتلال أثيوبيا من قبل إيطاليا سنتي ١٩٣٥ و ١٩٣٦ وفشل العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها بعد أن انسحبت كل من ألمانيا واليابان من عصبة الأمم وامتنعت فرنسا عن تطبيق تلك العقوبات .

تعاظم الفاشية ديكتاتورياً:

هكذا تزايدت قوة الأنظمة الدكتاتورية لحد التطرف الذي طغى على سياسات النظام العسكري الفاشي في إيطاليا.. والنازية في ألمانيا.. ولحقت بهما اليابان في الوقت الذي تراجعت فيه هيبة الأنظمة الديمقراطية.. ومن هنا نلاحظ ما يلي:

• عادت الولايات المتحدة إلى تطبيق سياسة الإنعزال تجاه مشاكل القارة الأوروبية وبقية العالم.

• اعتبر المحافظون بعد وصولهم إلى السلطة في بريطانيا أن مطالب هتلر محدودة يمكن مناقشتها والتوصل معه إلى اتفاق بشأنها.

• أما في فرنسا فقد سعت الأحزاب اليسارية إلى التحالف من بينيتو موسوليني.. والتقرب من الاتحاد السوفييتي.. فقد كان الرأي العام الفرنسي يعتقد بأن فرنسا غير قادرة على مواجهة ألمانيا منفردة .

• وهكذا فقد مثل تراجع هيبة الأنظمة الديمقراطية أمام تحديات الأنظمة الدكتاتورية دليلا واضحا على فشل سياسة الأمن المشترك المتبعة من قِبل عصبة الأمم .

• اندلاع الحرب الأهلية الإسبانية (١٩٣٦-١٩٣٩) عندما قاد الجنرال فرانسيسكو فرانكو بدعم من المحافظين انقلابا على الجبهة الشعبية التي فازت في انتخابات سنة ١٩٣٦ ووعدت بإرساء نظام ديمقراطي.. وقد انتصر فرانكو بعد أن حصل على دعم الأنظمة الدكتاتورية (إيطاليا وألمانيا) سواء بالجنود أو بالسلاح في حين لم يتلق الجمهوريون من بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفييتي سوى دعم ضئيل اعتبارا من رغبة هذه الدول في دخول مواجهة مسلحة مع ألمانيا وإيطاليا .

التقارب بين هتلر وموسوليني:

أدى امتناع ألمانيا عن تطبيق العقوبات الاقتصادية المتخذة في حق إيطاليا بعد غزوها لأثيوبيا إلى التقارب بين هتلر وموسوليني.. وإعلان الدولتين عن تكوين محور روما- برلين سنة ١٩٣٦ في حين تشكل حلف مضاد للشيوعية بين ألمانيا واليابان تلك التي كانت تخشى وقوف الاتحاد السوفييتي ضد سياستها التوسعية في الصين وهو حلف تدعم بانضمام إيطاليا الفاشية إليه .

وقد أدى هذا إلى:

مؤتمر ميونخ ١٩٣٨:

انعقد مؤتمر ميونخ في سبتمبر ١٩٣٨حضرته كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وألمانيا وأدى إلى تلبية أطماع هتلر الإقليمية . وكان لهذا المؤتمر أثرًا سلبيًا مباشرًا على وحدة أراضي تشيكوسلوفاكيا.. فما أن حصل هتلر على منطقة السوديت دون أي رد فعل من الدول الديمقراطية حتى انقض البولنديون والمجريون على الأراضي التشيكية المحاذية لأراضيهم وسكانها من بولندا والمجر واحتلوها.. وهكذا لم يبق من تشيكوسلوفاكيا سوى منطقة سلوفاكيا التي سوف يحتلها الألمان في بداية الحرب العالمية الثانية .

أما في أوروبا الغربية فقد رحب الكثيرون بنتائج المؤتمر ظنا منهم بأن مطالب هتلر ستتوقف عند هذا الحد ويعم السلام أوروبا بعد أن حصل على مجاله الحيوي في الشرق.. لكن الأمور سارت على عكس ما اعتقدوا لأن هتلر وجد في الموقف الضعيف للدول الديمقراطية في مؤتمر ميونخ تشجيعًا له في سياسته التوسعية الأمر الذي سيدفع بالعالم إلى أتون الحرب.

محطات الحرب وتحفز موسوليني:

- قامت اليابان بغزو مدينة منشوريا الصينية عام ١٩٣١ وسيطرت عليها.
- بعدها بعامين ١٩٣٣قام الحزب النازي في ألمانيا تحت قيادة الزعيم النازي أدولف هتلر.. بإعادة تسليح الجيش.. كما غيرت من سياستها الخارجية.
- في عام ١٩٣٧ قامت اليابان بغزو شامل للأراضي الصينية.. بدءاً بالقصف المركز على مدينتي شنغهاي وجانزوهو وحدوث مجزرة النانكنج.
- في عام ١٩٣٨ بدأ هتلر بالتحرك لتوسيع الإقليم الشرقي لألمانيا.
- في ذلك الوقت في أوروبا.. قام موسوليني بتصعيد اللهجة والخطاب السياسي الخارجي.

موسوليني يساند هتلر ويحمى ظهره:

قلنا من قبل أنه عندما استطاع موسوليني الوصول إلى حكم إيطاليا عام ١٩٢٣ أدى ذلك إلى تحويل إيطاليا إلى دولة فاشية.. وأدى تقارب الأفكار بين هتلر وموسوليني إلى تكوين علاقة قوية بين الزعيمين.. وبعد أن استولى هتلر على الحكم في ألمانيا.. عقد هو وموسيليني ما سُميَ بحلف المحور بين روما وبرلين.. وسُميَّ أيضاً «الحلف الصلب» أو «الميثاق الصلب».. بعدها شاركت اليابان في الحلف مع الأطراف السابقة.. كما وقعت اليابان معاهدة مع ألمانيا عام ١٩٣٩ تسمى بـ ضد الشيوعية والتي كانت موجهة ضد الاتحاد السوفيتي بالتحديد.. بعد ذلك قامت بعض القوى الأخرى الصغيرة بالالتحاق بصفوف دول المحور.

وبعد أن بدأت إرهاصات الحرب بدأ هتلر يزيد من استفزازاته.. وبدأ موسولينى من وراءه.. يسير على دربه.. ويحمى ظهره.. وسارت الأحداث كما يلي:

- في سبتمبر عام ١٩٣٩ قامت ألمانيا بغزو بولندا بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتي.. مما أدى ذلك إلى نشوب الحرب مرة أخرى في أوروبا.

- في البداية لم تقم فرنسا أو بريطانيا بإعلان الحرب على ألمانيا.. بل حاولتا الاتصال مع هتلر عن طريق القنوات الدبلوماسية.. ولكن هتلر لم يستجب إطلاقا لهذه النداءات.

- بعدها قامت بريطانيا وفرنسا بإعلان الحرب ضد ألمانيا.

- خلال عامي ١٩٣٩ – ١٩٤٠ قامت هناك بعض المناوشات بين الطرفين ولكن لم ينوِ أحد الجانبين الالتحام مباشرة بالطرف الآخر.. وسميت هذه الفترة بالحرب المزيفة.

- في ربيع عام ١٩٤٠.. قامت ألمانيا بغزو الدنمارك والنرويج.. بعدها فرنسا وبعض الدول الأخرى مبكرا في الصيف.إيطاليا أيضا قامت بإعلان الحرب ضد بريطانيا وفرنسا عام ١٩٤٠.

- وجهت ألمانيا سهامها لبريطانيا.. وقامت بمحاولة قطع سبل المعونات والمعونات الجوية حتى تقوم بعمل حصار بحري على الجزيرة البريطانية.

- لم تستطع ألمانيا فرض حصار بحري على بريطانيا.. عوضًا عن ذلك كثفت ألمانيا الهجمات على الأراضي البريطانية خلال الحرب.. من جهتها حاولت بريطانيا بتركيز المواجهة مع القوات الألمانية والإيطالية في حوض البحر المتوسط.

- استطاع الجيش البريطاني تحقيق نجاح محدود في حوض البحر المتوسط.. رغم ذلك.. فشلوا في منع المحور من احتلال منطقة البلقان.

الإسطول الإيطالي يترنح:

عندما قامت إيطاليا بغزو ألبانيا في أبريل عام ١٩٣٩وضمتها لها رسمياً.. بعدها قام نظام موسوليني بإعلان الحرب على بريطانيا وفرنسا في ١١ يونيو عام ١٩٤٠ وقام بغزو اليونان في ٢٨ أكتوبر من نفس العام.. بالرغم من ذلك.. قام الطيران الإيطالي بحصار مالطا في ١٢ يونيو الذي وصف بأنه حصار غير ناجح.. وتوصف معارك البحر المتوسط بأنها «مأساة الأسطول الحربي الإيطالي» حيث تأثر بأضرار بالغة من الأسطول البريطاني والأسترالي.. خاصة في معارك :

- Mers-el-Kebir في ٣ يوليو.
- Battle of Taranto في ١١ نوفمبر.

وفي أبريل عام ١٩٤١عندما أوشكت اليونان على الانتصار على القوات الإيطالية تدخلت ألمانيا.. وقامت القوات الألمانية بالتعاون مع القوات الإيطالية.. بتصحيح الأوضاع.. وهزيمة اليونان.. وقامت قوات المحور مجتمعة بإحكام قبضتها على العاصمة اليونانية أثينا.. وفي ٢٧ أبريل عام ١٩٤١ تم وضع أغلب أراضيها تحت الاحتلال.

بعدها زادت حدة الحرب في يونيو ١٩٤١ وذلك عندما قامت ألمانيا بغزو الاتحاد السوفيتي.. الذي أجبر الأخيرة على انضمامها كحليف لبريطانيا في الحرب.. كانت الهجمات الألمانية في ذلك التوقيت ناجحة جداً وبنتائج جيدة على صعيد الأراضي السوفيتية إلى حين حلول الشتاء بدأت هذه الهجمات تتعثر.

- زادت سخونة أحداث الحرب عندما قامت اليابان بشن هجمات سريعة على أراضي الولايات المتحدة بما تسمى حادثة بيرل هاربر أو ميناء بيرل والمستعمرات البريطانية في جنوب شرق آسيا.

- بعد الهجمة على بيرل هاربر.. قامت ألمانيا بإعلان الحرب على الولايات المتحدة أيضا.. وبحدوث ذلك دخلت الولايات المتحدة في توتر عسكري مع اليابان.. الأمر الذي أدى إلى توحيد الحرب في آسيا وأوروبا إلى حرب عالمية واحدة.

- بدلاً من أن يقوم المحور بجني نتائج إيجابية.. في عام ١٩٤٢ بدأ التراجع عندما قامت الولايات المتحدة بالفوز في معركة ميدواي Midway أمام اليابان غير أن ٤ من حاملات الطائرات اليابانية تدمرت.. الألمان أيضا تراجعوا أمام الهجمات الأنجلو أمريكية في إفريقيا.. والألمان أيضا جددوا هجماتهم على الاتحاد السوفيتي في الصيف ولكن لم تكن كذي قبل.

- أدى ذلك عام ١٩٤٣ إلى هزيمة الألمان في معركة ستالينجراد من قبل الجنود السوفييت.. وبعدها في معركة كورسك (أكبر معركة تستخدم فيها المدرعات الثقيلة في التاريخ الحديث) كما بدأت القوات الألمانية.. والإيطالية بالتقهقر من إفريقيا.

استسلام موسولينى وإيطاليا:

وبدأت قوات الحلفاء في التقدم لشمال إيطاليا من خلال صقلية.. أجبر ذلك إيطاليا على توقيع معاهدة استسلام عام ١٩٤٣.

- في عام ١٩٤٤.. بدأت كواليس الحرب واضحة وتؤكد أن دول المحور قد فقدت زمام الأمور.. ألمانيا بدأت تتقهقر من هجمات الإتحاد السوفيتي من خلال ضغط الهجمات على الأراضي السوفيتية المحتلة وبولندا ورومانيا من الشرق.. ومن الغرب قامت قوات الحلفاء بغزو عمق أوروبا أدى ذلك إلى تحرير فرنسا والوصول إلى حدود ألمانيا الغربية.. في نفس الوقت استطاعت اليابان شن هجمات ناجحة على الصين..

- كان الأسطول الياباني يعاني الأمرين في المحيط الهادئ.. ذلك أدى إلى إحكام القوات الأمريكية السيطرة على المطارات وذلك من خلال قصف بعيد المدى لطوكيو.

أخيرًا انتهت الحرب عام ١٩٤٥ وذلك في معركة الثغرة (آخر هجمة مرتدة من ألمانيا للجهة الغربية) في وقت سيطرت القوات السوفيتية على برلين في شهر مايو.. هذه الخسائر أدت إلى استسلام ألمانيا.

قبل سقوط روما:

أول ما قام به الحلفاء في ذلك الوقت بالسيطرة على جزيرة صقيلة.. والتي سميت بعملية هيوسكي في ١٠ يوليو عام ١٩٤٣ والذي أثار استياء الشديد من قيادة موسوليني.. فقد تم خلعه في يوليو ٢٥ عام ١٩٤٣ من خلال المجلس الفاشي وتم وضعه تحت الإقامة الإجبارية في منتجع في أحد الجبال المنعزلة .

تم استبدال موسوليني.. بالجنرال بييترو بادوليو.. والذي قام بمفاوضات استسلام مع الحلفاء في سبتمبر ٨ عام ١٩٤٣ لكن الألمان تحركوا بسرعة لإنقاذ الموقف.. و تم نزع تشكيلة السلاح الإيطالي وتغير شكله لتبدأ مرحلة الدفاع عن إيطاليا.

السقوط:

قامت قوات الحلفاء بغزو الأراضي الإيطالية في ٣ سبتمبر عام ١٩٤٣ دخولاً من صقلية.. كما قاموا بالإنزال في مناطق ساليرونو وتارنتو.. وأدى ذلك بإيطاليا للاشتراك مع الحلفاء.

عملية أواك:

قامت فرقة كوماندوز ألمانية بعملية أواك والتي تم بها إنقاذ موسوليني قبل إلقاء القبض عليه بشكل نهائي.. وتم تنصيبه من قبل النازيين كوزير للعلاقات الخارجية في شمال إيطاليا.. والتي سميت وقتها بجمهورية إيطالية.

قام الألمان بإنشاء دفاعات داخل الجبال وقد سمي الخط الدفاعي الرئيسي- بخط الشتاء.. والذي قابله الحلفاء في شتاء ١٩٤٣ ولم يستطيعوا اختراقه.. فتم الإنزال في منطقة أنزيو.. ثم قامت القوات أخيراً باختراق خط الدفاع الحديدي.. بالرغم من ذلك.. استطاع الألمان أن يوقفوا قوات الحلفاء.. وذلك عن خط جوستاف (الدرع الرئيسي في خط الشتاء للدفاع) الذي بقي صامداً.

أخيراً تم اختراق الخطوط الدفاعية الألمانية في مايو ١٩٤٤ في خلال المحاولة الرابعة في مدة أربعة شهور.. الأمر الذي فتح الطريق إلى روما .

استطاع الحلفاء أخيرا الدخول إلى روما في ٤ يونيو عام ١٩٤٤ قبل يومين فقط من الإنزال في نورماندي.. قام الألمان بتراجع عسكري في خط الجوسيك شمال فلورنزا.

واعتباراً من ١٠ سبتمبر عام ١٩٤٤ حتى آخر العام.. قامت قوات الحلفاء بمهاجمة الخط في أكبر المعارك شراسة خلال الحرب.. واستطاعوا اختراق خط الجوسك.. ولكن لم يستطيعوا التوغل داخل مزارع اللومباردي.. واستكمل الهجوم من قبل قوات الحلفاء وبعض القوات الإيطالية في إبريل عام ١٩٤٥ حتى استلمت ألمانيا في إيطاليا في أبريل ٢٩ عام ١٩٤٥ قبل يومين من اعتقال موسوليني وقبل يوم واحد من انتحار هتلر .



هتلر وموسوليني في لحظة صفاء

٨- أحداث النهاية وإعدام موسوليني ورفاقه

الحرب عار:

كانت الحرب عاراً على إيطاليا بعد انضمام موسوليني إلى هتلر حيث فشل الطليان في احتلال اليونان ثلاثة مرات حتى جاء هتلر لنجدتهم.. وفي ليبيا لم يكونوا بأحسن حال حيث انهزموا أمام البريطانيين..

وفي آخر الأمر وضع موسوليني جيشه تحت إمرة الألمان.. حروب هتلر كانت سيئة بالنسبة للطليان ولكن موسوليني كان يتبع خطاه في كل شيء.. حتى عندما احتل هتلر روسيا.. أرسل موسوليني جنود إيطاليين إلى هناك.. وبعدها بقليل كانت إيطاليا في حرب مع أميركا.

بحلول عام ١٩٤٢ كانت إيطاليا على الهاوية.

جيشها مهزوم وجائع ولديهم نقص في العتاد والسلاح..

وفي داخل إيطاليا نفسها كان هناك نقصٌ في المؤن..

وغضب الشعب.. ورفض الاستمرار في الحرب.. ورأى أن موسوليني قد كذب عليهم حتى وصل الأمر أن بلادهم قد احتُلَت من قبل الجيوش البريطانية والأمريكية.. وأصبح موسوليني عدو الشعب الأول.

وفي يوم ١٨ أبريل ١٩٤٥ بينما الحلفاء على وشك دخول بولندا والروس يزحفون نحو برلين.. غادر موسوليني مقر إقامته في سالو رغم اعتراضات حراسه الألمان.. ثم ظهر في ميلانو ليطلب من أسقف المدينة أن يتوسط بينه وبين قوات الأنصار للاتفاق على شروط التسليم التي تتضمن إنقاذ رقبته.. إلا أن قيادة الأنصار التي كان يسيطر عليها الحزب الشيوعي الإيطالي أصدرت أمراً بإعدامه.

معركة الشرف الأخيرة:

وتابع هو رحلته بالسيارة متخفياً ومعه عشيقته كلارا ليخوض ما أسماه بمعركة الشرف الكبرى والأخيرة.. وعندما وصل إلى مدينة كومو مسقط رأس عشيقته القريبة من الحدود السويسرية تبين أنه كان واهماً.. وأن من كانوا يدعون أنهم أنصاره المخلصين انفضوا من حوله.. ولم يتبق منهم سوى قلة .

وفي ٢٥ أبريل ومن حيث كان يقيم فى كومو كتب آخر رساله له إلى زوجته يطلب منها الهروب لتأتى إليه فى سويسرا.

وفي ٢٦ أبريل زاد خوفه واستشعر القلق.. ففر إلى ميناجيو مدينة عشيقته الأخرى أنجيلا..

ثم حاول موسوليني الهرب مع عشيقته كلارا باختبائه في مؤخرة سيارة نقل متجهاً إلى الحدود.. ولكن عند دونجو في منطقة بحيرة كومو شمال البلاد أوقف السائق السيارة.. تحت تهديد بندقيته.. وأمرهم بالنزول.. مخبراً إياهم بأنه يقبض عليهم باسم الشعب الإيطالي.

وتعرف عليه الجنود الإيطاليون بسهولة هو وعشيقته كلارا.. وكانت جبهة التحرير وقتها قد قبضت على أغلب معاونيه.. وحددت منهم ١٥ شخصاً يجب إعدامهم.. وقامت الجبهة الشعبية بعمل محاكمة صورية.. وأقرت بإعدامه هو وعشيقته وتعليقه مقلوباً من قدميه كعادة إيطالية قديمة وهي تعليق المحتال في هكذا وضع.

وفي اليوم التالي أتت الأوامر من مجلس جبهة التحرير الشعبيه بإعدام موسوليني وجاء العقيد «فاليريو أوديسيو » الذي انضم سراً للجبهة إلى مكان اعتقال موسوليني.. وأخبره بأنه جاء لينقذه.. وطلب منه مرافقته إلى المركبة التي كانت في انتظارهم.. ثم ذهب به إلى فيلا بيلموت المجاورة حيث كان في انتظارهم فرقةٌ من الجنود.

وفي يوم ٢٩ أبريل تم تجميعهم بما فيهم موسوليني وعشيقته «كلارا» .. وكان أوديسيو أحد الإيطاليين الثمانية الأعضاء في قوة أوكلت إليها مهمة إعدام موسوليني.. وتم إطلاق النيران على الجميع.. وكان (فاليرو) قد تعطل سلاحه الذي استخدمه لتنفيذ عملية القتل.. فاستخدم بندقية نصف آلية فرنسية لتنفيذ المهمة[١] أطلق من خلالها خمس رصاصات علي موسوليني.. وقتل معه أيضاً كلارا بيتاتشي عشيقته التي لم يكن هناك أمر بقتلها لكنها لقيت حتفها حين تشبثت به.. بعدها تم نقلهم ليعلقوا مقلوبين من أرجلهم في محطة بنزين في مدينة ميلانو.

وعرضت جثتاهما مع جثث خمسة قادة فاشيين آخرين في ساحة عامة في ميلانو معلقة من الأرجل أمام المحطة.. وجاءت الجماهير تسبهم وتشتمهم وتبصق عليهما وترميهما بما في أيديهم.. وفقدت الجماهير السيطرة على نفسها فأخذت بإطلاق النار على الجثتين وركلهما بالأرجل.

وفي القرى والمدن قُتِل كثير من الفاشيست حيث وضعت جثثهم في سيارات نقل الأثاث وتجولت بهم في شوارع ميلان.

وبعد انتهاء كل شيء أخذت الجثث ودفنت سراً في ميلانو.

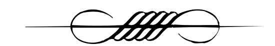
وفي سنة ١٩٥٧ سلمت جثة موسوليني لأهله لتدفن قرب مدينته التي وُلِدَّ بها.

---

(١) البندقية ذات قاعدة خشبية ملونة وحزام جلدي قصير وصنعت عام ١٩٣٨ من طراز (M.A.S) وتحمل رقم مسلسل (F.20830).. وظلت تلك البندقية طوال ٤٧ عاماً في غياهب أحد المتاحف بالعاصمة الألبانية تيرانا بعد أن حصل عليها الزعماء الستاليون في ألبانيا هدية من الرجل الذي أطلق النار على موسوليني وعشيقته.. بعدها عرضت البندقية في المتحف الوطني بتيرانا وذلك في أول ظهور علني لها منذ انتهاء الحكم الشيوعي في ألبانيا عام ١٩٩١ وقال وقتها المدير العام لسجلات الحكومة الألبانية أن أوديسيو أرسل البندقية هدية إلي حكومة الدكتاتور الشيوعي أنور خوجة.. وكتب أوديسيو رسالة الى تيرانا قال فيها : «أرسل إليكم هدية السلاح الذي أُعدم به يوم ٢٨ أبريل عام ١٩٤٥ مجرم الحرب بينيتو موسوليني تنفيذا لأوامر القيادة العامة للقوات الإيطالية».

رواية أخرى:

هناك رواية أخرى حول ملابسات إعدام موسوليني.. وعشيقته كلارا في دونجو في منطقة بحيرة كومو شمال البلاد فيما كانا يحاولان الفرار إلى سويسرا.. بعد القبض عليهما.. ذهبا في اليوم التالي إلى فيلا بمنطقة بيلموت.. حيث كان في انتظارهم فرقة من الجنود.. وفي يوم ٢٩ أبريل تم نقل موسوليني و«كلارا» إلي قصر ـ فينسيا الحكومي في قلب روما ليُشنقا معلقين من رجليهما في شرفة القصر ـ كما طلب موسوليني بنفسه في إحدى خطبه متحدياً من يقدم على قتله.



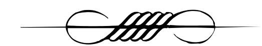
مشاهد الإعدام



الإعـدام: مـن اليمـين إلى اليسـار - كـلارا عشـيقة موسـوليني.. موسـوليني.. سكرتير الحزب الفاشي اشيل ستاراس.



وبعد أن تمّ التمثيل بجثتيهما شر تمثيل.. حملتا الجثتان إلى مكان مجهول.. وبعد قيام حكومة إيطاليا الجمهورية.. أُخرجت جثة موسوليني من القبر.. وسلمتها إلى من تبقى من أهله.



٩- الطغاة والعشيقة ثنائية تاريخية مستمرة

كما أشرنا في البداية كان موسوليني ينتمى لأسرة فقيرة[١].. ومتواضعة.. لكن شاءت له الأقدار أن يصبح رئيس حزب سياسي استثنائي في تاريخ بلاده.. فزحف على رأس حزبه إلى قمة السلطة في روما.. واستولى على مقاليد كل شيءٍ في عملية انقلابية تدريجية.. وقلب الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في بلاده رأساً على عقب.. فصعد نجمه.. وتحوّل هو نفسه إلى (نجم) تتهافت وكالات الأنباء.. والإذاعات المحلية في بلاده.. والعالمية في كل مكان على إذاعة وتتبع أخبار تحركاته.. وأقواله.. وصوره .. حتى ألوان بدله.. وربطات عنقه.

واكتشف موسوليني أنه استكمالاً للصورة الكاريزمية له كقائد تستدعى أن تكون إلى جانبه (نجمة) تزيد من جاذبيته أمام الكاميرات.

امرأة من طراز آخر.. ليست كزوجته التى تزوج بها عندما كان مجرد ابناً لحداد قروي بسيط.. والتى كانت مجرد فتاة فلاحة.. تنتمي إلى نفس البيئة البسيطة المتواضعة التى خرج هو منها.. ولم تعد في نظره أكثر من امرأة أكل عليها الدهر.. وشرب.. انتهى دورها في حياته بإنجابها له أولاده.. وتربيتهم يوم كان بسيطاً مغموراً يجد بالكاد قوت يومه.

ومن هنا بدأت (كلارا بيتانشي) تظهر على مسرح الأحداث.. فتاة شابة أنيقة.. يتباهى بها أمام عدسات الكاميرا.. وفي زياراته العامة.. وآخر الليل تشاركه فراش المتعة.

(١) تم إنتاج قصة عشيقة موسوليني السرية وطفلها في فيلم للمخرج الإيطالي ماركو بيللوتشيو يحكي الأشواط التي قطعها الدكتاتور لإخفاء الأم والطفل واللذين كانا يمكن أن يوقفا رحلة صعوده إلى السلطة في إيطاليا ما قبل الحرب.

لا شك أن موسولينى كان في ذلك يقلد صديقه هتلر الذي اتخذ من الفاتنة إيفا براون [1] عشيقةً له.. فأدّت دورها بمهارة.. واستطاعت أن تمثل دور العاشقة والخليلةمعاً.

والحقيقة أن العاشقين استطاعتا إثبات أنهما جديرتان بلعب هذا الدور.. لدرجة إدمان العاشقان الطاغيتان لهما.. وعدم القدرة على التخلى عنهما حتى في لحظات موتهما.

كما أن كليهما استطاعتا أيضاً أن تستغلا علاقتيهما بالطاغيتين أحسن استغلال.. ففتحتا على أهليهما وذويهما أبواب الثروة والمجد.. وسطع نجمهما في سماء روما وبرلين حتى أن اسميهما صارا يذكران بجانب اسم موسوليني وهتلر.

(١) إيفا أنا باولا براون (٦ فبراير ١٩١٢ إلى ٣٠ أبريل ١٩٤٥ م) أشهر عشيقة.. لأشهر قائد في القرن العشرين.. وُلدت في مدينة ميونخ الألمانية وتلقت تعليمها في أحد الأديرة.. والتقت بالزعيم النازي أدولف هتلر عندما كانت تعمل مساعدة لأحد موظفي هتلر في عام ١٩٢٩م.. ويحكى عنها أنها دست رسالة غرامية في جيب هتلر فقام على أثر هذه الرسالة بدعوتها لمنتجعه الجبلي وأصبحت بعدها عشيقته.. يروى أنها كانت تسخر من شارب هتلر عند أصدقائها وكان المؤرخون يصفونها أنها امرأة «ذات ذكاء محدود.. وتفان وإخلاص لعشيقها هتلر».. أبدى الفوهرر اهتماماً أكثر بإيفا بعد إقدام جيلي روبال على الانتحار.. وكان هتلر خالاً لجيلي.. ويشاع أن بين الاثنين علاقة حميمة غير العلاقة المعتادة بين الخال وابنة أخته.. حاولت إيفا هي الأخرى قتل نفسها عن طريق إطلاق النار على رقبتها.. وبعد معافاتها.. اشترى هتلر لها منزلاً في ميونخ وسيارة مرسيدس وعين لها سائقاً خاصّاً.

وفي سنة ١٩٣٦ م دخلت إيفا براون بيت الفوهرر وأقامت فيه بصورة رسمية كمضيفة للبيت.. وكل من كان ينتقد السياسة العامة لحكومة هتلر أو التذمر من الهزائم التي ألّمت بالرايخ الثالث أبان الحرب العالمية الثانية لم يكن مرحباً به في بيت هتلر وحرصت على أن لا تراهم في بيت هتلر مرة أخرى.. كما لم تتدخل في شؤون الدولة بحكم قربها من عشيقها والتأثير عليه لتغيير سياساته.. وعندما ضيق الجيش الأحمر الخناق على العاصمة برلين.. رفضت مغادرة مركز القيادة الألمانية هي وعشيقها أدولف هتلر وفي ٢٩ إبريل ١٩٤٥ م.. تزوج أدولف هتلر وإيفا براون بصورة رسمية وأقدم كلاهما على الانتحار في اليوم الذي يليه عن طريق احتساء السم.. (راجع كتابنا هتلر رسول الحرب في القرن العشرين الصادر عن دار جزيرة الورد طبعة ٢٠١٠).

دفتر كلاريتا:

وفي أوائل الألفية الثالثة صدر كتاب يحمل اسم دفتر كلاريتا[1] يضم يوميات هى عبارة عن مقتطفات من نصوص كتبتها عشيقة موسولينى كلاريتا بيتاتشي- ابنة طبيب الفاتيكان بين عامى ١٩٣٢ و١٩٣٨ وتكشف من خلالها جوانب مجهولة في شخصية الديكتاتور الفاشي.. تقول فيه ملاحظاتها عن شخصية الديكتاتور الفاشي.. من خلال علاقتها به.. هذه اليوميات هى تسجيل حميم.. وبأدق التفاصيل.. وبشكل فاضح.. وكانت محفوظة في أرشيف الدولة الإيطالية.. ثم أُفرِجَ عنها بعد سبعين عاماً وفقاً للقانون الإيطالي.. ويمكننا أن نرصد أهم ماجاء في يومياتها.. وعلى لسانه في النقاط التالية:

- كان موسوليني معادياً للسامية..
- معجباً بشدة بقوة الرايخ الثالث الذي أسسه أدولف هتلر..
- غاضباً من البابا بيوس الحادي عشر..

لحظات صفاء:

ففي الرابع من أغسطس ١٩٣٨ بينما كان العاشقان على متن مركب يتبادلان أطراف الحديث عن قوانين هتلر العنصرية وقتها قال موسوليني لعشيقته:

«أنا عنصري منذ عام ١٩٢١ لا أدري كيف يعتقدون أنني أقلد هتلر.. فهو حتى ذلك التاريخ لم يكن هناك من يعرفه.. يجب أن نلقن الإيطاليين مفهوم العِرق كي لا يقدموا على الزواج من أعراق أخرى فيشوهوا ما هو جميل فينا».

(١) صدر الكتاب عن دار نشر- «ريتسولي» في إيطاليا.. تحت عنوان«أسرار موسوليني» أعده للنشر- الصحفي الإيطالي مارو سوتورا.. ونشرت صحيفة «كوريري ديلا سيرا» الفقرات المشار إليها منه.

ويروي موسوليني في الأول من أكتوبر من عام ١٩٣٨ لعشيقته ما جرى في كواليس مؤتمر ميونيخ: «الفوهرر لطيف جداً.. هتلر شخص حساس جداً.. حين رآني اغرورقت عيناه بالدموع.. إنه يحبني حقيقة بقوة».

اليهود الأندال:

وفي ١١ أكتوبر فيما كان موسوليني على شاطئ البحر مع كلاريتا قال لها .. «هؤلاء اليهود الأندال يجب القضاء عليهم.. سأرتكب مجزرة كما فعل الأتراك.. سأبني جزيرة وأنفيهم إليها.. ليس لديهم أي امتنان ولا عرفان بالجميل.. أو يبعثون برسالة شكر.. ويقولون دائماً أننا بحاجة إلى أموالهم.. ومساعدتهم».

ضد البابا:

وتكشف مقاطع من مذكرات العشيقة غضب موسوليني من البابا بيوس الحادي عشر الذي نسب إليه مقولة: «إننا جميعا يهود من الناحية الروحانية».. كما شجع على الزواج بين اليهود والكاثوليك والاعتراف بذلك.. وهو ما يتعارض مع القوانين الراديكالية التي كان قد أصدرها موسوليني في هذا الصدد وعلى غرار ما كان متبعاً في ألمانيا النازية.

وقال موسوليني لكلارا:

« إنك لا تدركين كم يضر هذا البابا بالكنيسة.. إنه شؤم.. ولم يمر على الكنيسة بابا يسيء للدين إلى هذا الحد كما يفعل هو».

كلارا: أنا الأهم.:

من جهة أخرى تروي العشيقة حالة الهيام المتبادل التي خيمت على علاقتهما معاً.. ما دفع موسوليني إلى التخلي عن عشيقاته الأخريات.. حيث قال لها في ١٩ فبراير ١٩٣٨ : « نعم حبيبتي لقد أخطأت لا سيما أن حبي لك يكبر مع الوقت.. وأشعر أنكِ ضرورة في حياتي أكثر من أي شيءٍ آخر».

موسوليني. ونساء أخريات:

لكن لم تكن كلارا هى العشيقة الوحيدة في حياة موسوليني.. ففي سيرته رصيدٌ من علاقات كثيرة.. من بينها علاقته مع سيدة من إيدا تدعى إيرين داسلر.. كانت امرأة قوية الإرادة.. تكبره بثلاث سنوات.. وتدير صالون تجميل.

وقد أيدته إيدا بقوة عندما طُرِدَ من الحزب الاشتراكي لمساندته دخول إيطاليا في الحرب العالمية الأولى.

وقيل أنها قد باعت صالونها لمساعدته على تأسيس جريدته الخاصة التى كان اسمها (إل بوبولو ديتاليا) وتعنى (شعب إيطاليا).

ويقول بعض الصحفيين والمؤرخين أنهما قد تزوجا عام ١٩١٤ لكن هذه الجزئية تعتبر محل خلاف.. لكن يُقالُ أنها حملت منه.. وكانت في شهرها السابع عندما تركها موسوليني وذهب للجبهة في أغسطس ١٩١٥ وولدت له فيما بعد ابنهما بينيتو ألبينو في ١١ نوفمبر من نفس العام.. وقد أعلمت موسوليني بالخبر في رسالة.. ولكنها لم تتلق رداً.. وبدلاً من ذلك.. سمعت أنه يعالج في المستشفى من الصفراء فذهبت إليه تحمل طفلها على ذراعها.

١٤ عشيقة:

وفي حين نشر هذه المذكرات أوردت بعض الصحف الإيطالية أن موسوليني كان يتباهى باحتفاظه بأربع عشرة عشيقة مرة واحدة.. كما يفتخر بأن فكرة العلاقة الواحدة في نفس الزمن غير واردة بالنسبة له على الإطلاق..

موقف زوجته الأولى:

أما الزوجة الشرعية لموسوليني (راشيل موسوليني) فكانت امرأة عاقلة تقبلت هذا الواقع المؤلم والمرير.. ولم تقاوم لأن رغبتها الوحيدة كانت تجنب الفضائح.. فانسحبت من الحياة بجوار زوجها في هدوء.. ورجعت إلى قريتها.. خاصةً أنها لم تستطع التكيف مع حياتها الجديدة كزوجة لرئيس الوزراء.. لكونها فلاحة مظهراً.. و مخبراً.. فى طريقة كلامها.. وملابسها.. والأهم انعدام رغبتها في أن تشارك زوجها تلك الحياة الجديدة بكل أضوائها.. وضجيجها .. وكل ذلك أدى بها في النهاية إلى تفاقم شعورها بالبؤس والتشرنق على نفسها.. لأنها تريد التفرغ لشؤون بيتها زوجة وأماً لا أكثر.. ولا أقل.

زوجة مثالية وزوج مستبد:

وقبل الرحيل من ميلان إلى روما.. أي قبل أن يتولى موسوليني منصب رئيس الوزراء .. كان أصدقاؤه يمرون على بيته في شارع « ميريندا» و يسألون راشيل :

- هل بنيتو موجود ؟

وترد راشيل وهي مشغولة غاية الانشغال بأعمال المنزل :

- لا السيد في الخارج !!

- ألم يخبرك أين ذهب ؟ !

- لا.. لم يتعود أن يفعل ذلك ..!

فلما انتقلت إلى روما و تغير الحال.. أصبحت عصبية جداً.. تفور وتثور مشاعرها لأتفه وأهون سبب.. مع الإحساس الفادح بهيمنة وجبروت وطأة التعاسة.. وإذ تصادف وتلقت مكالمة هاتفية أو رسالة من صديقة للتوسط في موضوع أو قضية ما..

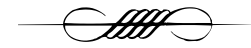
وتحاول عرضها على زوجها كان يصدها بغلظة وفظاظة قائلاً :

أنتِ لا تعرفين شيئاً.. أنتِ لا تفهمين شيئاً..

ويقول مؤرخو وكُتّاب تلك الحقبة من تاريخ روما وديكتاتورها الأكبر أن تلك المرأة عظيمة الكبرياء.. عاشت مأساة عائلية توالت فصولها على هامش المأساة القومية الأكبر في إيطاليا.. لكنها تغلبت على أحزانها كامرأة.. وكان موقفها مليئاً بالنبل.. وقدر لها الإيطاليون هذا.. ولم يمسوها بسوء.. أو أذى.. بل على العكس مازال التاريخ يذكرها بإجلال واحترام.

نهاية العاشقة:

ونعود للعشيقة (كلارا) لنرى أن الأقدار بقدر ما أمهلتها.. لكنها لم تهملها.. ودخلت التاريخ من أسوأ وأقذر أبوابه.. ولم تنفعها الثروة التي جنتها من وراء موسوليني وهى معلقة من قدميها جثةً يبصق عليها الإيطاليون بجوار عشيقها الطاغية.



خـــاتمـة

بعد إعدامه.. وسقوط أوراق حزبه من لائحة اعتماد الإيطاليين .. تطور حزب موسوليني إلى ما يُعرف في إيطاليا حالياً باسم «حزب التحالف القومي» أو حزب «القمصان السوداء» .

وبعد أن استسلمت إيطاليا.. بقيت البلاد ساحة معركة لبقية الحرب حيث تقدم الحلفاء من الجنوب بينما حافظ الموالون للنظام الفاشي والنازيون على قواعدهم في الشمال.

وأصبحت الصورة أكثر تعقيداً من نشاط حركة المقاومة الإيطالية.. غادر النازيون البلاد يوم ٢٥ أبريل ١٩٤٥ وفي نهاية المطاف تم حل القوات الفاشية الإيطالية بعد قتل ما يقارب ٦٠٠ ألف إيطالي عسكريين ومدنيين.. وذلك فقط خلال الفترة بين يونيو ١٩٤٠ ومايو ١٩٤٥.

وشارك ما يقرب من مائتى ألف شخص في المقاومة بينما أعدم الألمان أو القوات الفاشية ٧٠ ألف إيطالي (من المقاومين والمدنيين) لعلاقتهم بالمقاومة.. كما توفي ما لا يقل عن ٥٤ ألف من أسرى الحرب الإيطاليين في الأسر السوفياتي.

إيطاليا بعد موسولينى:

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية برزت مخاوف المواطنين الطليان من استيلاء الشيوعيين على السلطة في نتائج الانتخابات الأولى بعد الحرب في ١٨ أبريل ١٩٤٨ ونجح الحزب الديمقراطي المسيحي بقيادة ألتشيدي دي جاسبيري في الانتخابات بنسبة ٤٨٪ من الأصوات.. وتولى رئاسة الوزراء.

وفي عام ١٩٤٦ أُجبر أومبرتو الثاني ابن فيكتور عمانويل الثالث على التنازل عن العرش.. وأصبحت إيطاليا جمهورية بعد الاستفتاء الذي أجري في ٢ يونيو ١٩٤٦ وهو اليوم الذى يُحتفلُ به منذ ذلك الحين كيوم للجمهورية الإيطالية.. وكانت هذه أيضاً هي المرة الأولى التي تمنح فيها المرأة في إيطاليا حق التصويت.

وتمت الموافقة على الدستور الجمهوري.. ودخل حيز التنفيذ في ١ يناير عام ١٩٤٨.

وبموجب معاهدات باريس للسلام لعام ١٩٤٧ عادت المنطقة الحدودية الشرقية ليوغوسلافيا.. وفي وقت لاحق تم تقسيم الأراضي الخالية من تريستي بين الدولتين.

ثم أصبحت إيطاليا في الخمسينيات عضواً في حلف شمال الأطلسي وتحالفت مع الولايات المتحدة.. ساعدت خطة مارشال في إنعاش الاقتصاد الإيطالي الذي وحتى الستينات تمتع بنمو اقتصادي مطرد فيما عرف باسم «المعجزة الاقتصادية».

وفي عام ١٩٥٧ كانت إيطاليا عضواً مؤسساً للمجموعة الاقتصادية الأوروبية والتي أصبحت الاتحاد الأوروبي في عام ١٩٩٣.

سنوات الرصاص:

منذ أواخر الستينات وحتى أواخر الثمانينات دخلت إيطاليا في أزمة اقتصادية صعبة وفيما يُعرف بـ «سنوات الرصاص» وهي فترة تميزت بانتشار الصراعات الاجتماعية والأعمال الإرهابية من قبل منظمات غير ممثلة في البرلمان.. بَلَغَ التردي ذروته عند اغتيال الزعيم الديمقراطي المسيحي ألدو مورو في عام ١٩٧٨ لتصل «التسوية التاريخية » بين الحزب الديمقراطي المسيحي والحزب الشيوعي إلى نهايتها.

وفي الثمانينات وللمرة الأولى منذ عام ١٩٤٥ تشكلت حكومتان متعاقبتان بقيادة رئيسين للوزراء لا ينتميان للحزب المسيحي الديمقراطي: هما الجمهوري جيوفاني سبادوليني[١] والاشتراكي بتينو كراكسي[٢] بينما حافظ الحزب الديمقراطي المسيحي مع ذلك على كونه القوة الرئيسية الداعمة للحكومة.

أصبح الحزب الاشتراكي بقيادة بتينو كراكسي أكثر انتقاداً للشيوعيين والاتحاد السوفيتي حيث نادى كراكسي نفسه لصالح نصب صواريخ بيرشينج في إيطاليا من طرف إدارة الرئيس الأميركي رونالد ريجان.. وهي خطوة نافسها الشيوعيون بشدة.

ومرت السنوات:

ومرت سنوات.. وراء سنوات.. ثم عاد اسم موسوليني ليتردد مرةً أخرى في إيطاليا.. متزامناً مع تصريحات حادة أدلى بها جيان فرانكو فيني رئيس الحزب الجديد هاجم فيها الفاشية.. وموسوليني ووصفه هو والفاشية بأنهما شرٌ مطلق.. وردت عليه إليساندرا موسوليني حفيدة موسولينى.. والنائبة البرلمانية.. وعضو الحزب في نفس الوقت بقرار انفصالها عن الحزب لتؤسس حزباً يمينياً جديداً يعيد لجدها كرامته.

(١) جيوفاني سبادوليني (Giovanni Spadolini) سياسي إيطالي (٢١ يونيو ١٩٢٥–٤ أغسطس ١٩٩٤) تولى رئاسة الحكومة في إيطاليا من ٢٨ يونيو ١٩٨١ إلى ١ ديسمبر ١٩٨٢.حزبه السياسي هو الحزب الجمهوري الإيطالي.. وبوصول سبادوليني إلى السلطة انتهى احتكار الحزب المسيحي الديمقراطي للسلطة منذ عام ١٩٤٥.

(٢) بِتّينُو كْرَاكْسِي (اسمه الحقيقي: بينيديتو كراكسي.. Benedetto Craxi) كان سياسيًا إيطاليًا..ولد في ٢٤ فبراير ١٩٣٤ بميلانو (إيطاليا) وتوفي في ١٩ يناير ٢٠٠٠ بالحمامات (تونس).. كان مساعد رئيس بلدية ميلانو في ستينات القرن الماضي.. ثم نائبًا بالبرلمان الإيطالي من عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٩٤ والكاتب العام للحزب الاشتراكي الإيطالي من عام ١٩٧٦ إلى عام ١٩٩٢.. حيث قام برفع شعبية الحزب في إيطاليا.. تقلد مهام رئيس مجلس الوزراء الإيطالي من ٤ أغسطس ١٩٨٣ إلى ١٧ أبريل ١٩٨٧.. كما شغل منصب نائب أوروبي بمجلس النواب الأوروبي من عام ١٩٧٩ إلى عام ١٩٩٤ .

وماذا عن الابنة المجهولة؟

وفي نفس التوقيت خرجت سيدة إيطالية مسنة (٨٠ عاماً) تُدعى إيلينا كورتي عما أسمته الصحافة الإيطالية عزلتها.. وكسرت حاجز الصمت.. لتعترف أمام العالم في مذكراتها التي قامت بنشرها بأنها الابنة المجهولة للدوتشي موسوليني.

وجاء في المذكرات أن إنجيلا كورتي والدة إيلينا كانت إحدى عشيقات موسوليني.. وأن أول من عرف تلك الحقيقة كانت كارلا بيتاتشي- آخر عشيقة عرفها موسوليني في حياته.. وعندما ساورها الشك من أن تكون إيلينا عشيقة جديدة له اضطر موسوليني.. في محاولة منه لتهدئة غيرتها.. إلى أن يعترف لها بأن إيلينا هي ابنته غير الشرعية في علاقة سابقة. وليست عشيقة جديدة له .

وبعدها اتسعت دائرة من يعرفون بحقيقة علاقة إيلينا كورتي بالدوتشي- موسوليني بعد مصرعه.. وتم الزج بعد ذلك بكل من كان على صلة وثيقة بالدوتشي- في السجن.. ومن بينهم إلينا التي أنقذتها والدتها إنجيلا من حكم بالسجن لمدة عشرين عامًا بتهمة التعاون مع النظام الفاشي عندما أبلغت المسؤولين بأن إيلينا ابنته.. ومن ثم أُفرِجَّ عنها.

وقد بدأت إيطاليا خلال السنوات الأخيرة مراجعة تدريجية للفاشية.. وبدأت شمس هذه المراجعة بالبزوغ عام ١٩٩٤ مع ظهور بيرلسكوني كزعيم جديد حيث ضمت حكومته مجموعات سياسية جديدة.. وموالين سياسيين لموسوليني.

ولا شك أن هذه المراجعات أثرت على إيطاليا بأكملها.. وعكست علاقة حثيثة بين ميول القائمين بالمراجعة والوضع داخل دولة إيطاليا الحالية.. حيث الثقافة السياسية.. كانت قد وصلت إلى نقطة متدنية.. وكأن إيطاليا كانت تدخل مرحلة ما بعد الديمقراطية.. وأصبحت السياسات الرسمية للدولة أكثر تزمتاً».

واللافت للنظر أن شعبية موسوليني تزيد حاليًا بشكل مطرد في إيطاليا حتى بين جمهور الشباب.. حيث أن هناك استطلاعات رأى أظهرت أن حوالى ٤٥٪ من الشباب الإيطالي يتعاطف مع الأيديولوجيات العرقية.

كما أن خُطب الزعيم الفاشي أصبحت توزع مجملة على سيديهات بشكل كبير.. وموجودة على موبايلات الشباب الإيطالى.. وهو أمر لم يكن وارداً في السابق.. وقد أثار ذلك إدانة المجموعات اليهودية لموقف موسوليني المعروف من اليهود.

والخلاصة:

في النهاية وبعد أن استعرضنا مسيرة موسوليني يبقى سؤال هام يطرحه الكاتب دونالد سيسون في كتابه الشديد التحليل والتكثيف : «موسوليني وصعود الفاشية».. هو.. كيف أحرز موسوليني الصدارة في كل المشهد السياسي الإيطالي الحديث.. ولماذا أصبح قائد الحزب غير المحبوب.. الذي لا يحظى بدعم شعبي كبير.. رئيساً للوزراء؟

يكتب سيسون.. بأن الحرب العالمية الأولى كانت انتحاراً سياسياً حقيقياً لجزء من النُخب السياسية.. ففي سنوات الحرب بين عامي (١٩١٥-١٩١٧).. اجتمع البرلمان الإيطالي ١٥٨ مرة.. مقارنة مع ٤٢٣ مرة لمجلس العموم البريطاني.. فيما «الموقف التقليدي المعادي للسياسة في أوساط كثير من الإيطاليين يزداد وينمو في الخنادق» نتيجة ذلك.. فإن سنتي ١٩١٩و١٩٢٠ كانتا تمثّلان «أوسع مرحلة من النضال الاشتراكي في تاريخ إيطاليا» كما. أن إخفاق الكاثوليكيين والاشتراكيين في العمل معاً.. هو.. أيضاً.. عامل آخر.. مهّد الطريق لوصول موسوليني إلى السلطة.

وإذا أردنا أن نلخص مشوار موسوليني السياسي فنقول :

دكتاتور إيطاليا الأشهر.. هو الابن الأكبر لأب حداد.. وداعية اشتراكي.. وأم كاثوليكية متديّنة. دخل المدرسة الابتدائية في مدينة بريدابيو.. وبعدها مدرسة سلشيان في فلورنسا. أكمل تعليمه في مدرسة نورمال الملكية في فلورليمبوبولي.. وهي مدرسة تأهيل معلمين للمدارس الابتدائية. عمل موسوليني عاماً واحداً.. كمعلم في مدينة جولتيري. عام ١٩٠٢ ذهب إلى سويسرا وعمل كبنّاء حر ومترجم. عانى من التشرّد والجوع وكتب الخطب الثورية.. واعتقل في مدينة لوزان السويسرية بسبب التشرّد.. لكنه كان مدعوماً من قبل المنظمات الاشتراكية. في يونيو عام ١٩٠٣.. رُحّل من مقاطعة بيرن لنشاطاته الثوريّة.

في نفس العام أرغمته أخبار مرض أمه على العودة إلى مدينة فورلي. عاد إلى إيطاليا وخدم في فوج برزاجليري بالجيش الإيطالي عامي ١٩٠٥ و١٩٠٦. في نهاية خدمته العسكرية.. عمل مدرساً للغة الفرنسية في أونيجليا بالقرب من جنوة.. وفي الوقت نفسه أشرف على الإعلام الإلحادي في الجريدة الاشتراكية المحلية.

* عام ١٩١٠ أسس صحيفة «الصراع الطبقي».. وهي صحيفة أسبوعية تصدر في فورلي.. مستخدماً إياها أداة لترويج الفكر الاشتراكي المتطرّف وضد وجهات النظر الدينية.

* استمر موسوليني على مواقفه المتطرفة حتى نشوب الحرب العالمية الأولى.. مستخدماً التطرف أسلوباً يزيح به خصومه من القادة الاشتراكيين المعتدلين.. لتأمين المنصب الذي كان يتوق إليه. عند نشوب الحرب العالمية الأولى.. وقف إلى جانب الحياد. وحينما أعلنت إيطاليا انضمامها إلى الحرب في مايو ١٩١٥.. انتهت خدمته عام ١٩١٧حينما جرح جرحاً بليغاً في تمرين صعب.

* في سبتمبر.. ١٩١٧عاود عمله في صحيفته.. وكرّسها للعمل ضد أنصار السلام والمعارضين للحرب. ولأجل هذا الهدف تعاون مع فاشيي دي روزستانس.. أو اتحادات المقاومة.. المنظمة لهذا الغرض بالذات. عند انتهاء الحرب.. ساعدت الفوضى غير الاعتياديّة التي سادت إيطاليا.. موسوليني.. لكي يتأهب ويستعد. لذا فقد قرّر أن يؤسس مجموعته السياسية الخاصة به.. وتبنى الاسم «فاشي».. المتأتي من اتحاد فاشيي إيطاليا.

* وفي الثالث والعشرين من مارس ١٩١٩ تأسست المؤسسة الفاشية.. وسجلت نشاطاتها التي تدار من قبل موسوليني.. تحت اسم الفاشية. من خلال اللعب على أوتار «الخطر الشيوعي».. اكتسب موسوليني دعماً قوياً ونشيطاً من أوساط الطبقة الصناعية والوسطى التي تمارس المهن الحرّة. رغم كل ذلك فإن حزبه لم يحز إلا على خمسة وثلاثين مقعداً في انتخابات عام ١٩٢١.

* ولكن في أكتوبر ١٩٢٢ استطاعت دعاية موسوليني وتكتيكاته الرهيبة أن تحوّل البلاد إلى دولة للتوتّر مما أصبح من اليسير عليه أن يقوم بانقلابه. وفي المؤتمر الفاشي في نابولي من نفس العام.. أعلن موسوليني بأن الفاشيين سيستولون على السلطة بالقوّة.

* بخمسة وثلاثين صوتاً من مجموع خمسمائة وخمسة وثلاثين صوتاً برلمانياً في انتخابات عام ١٩٢١لم يشكل فاشيو موسوليني إلا نسبة بسيطة.. ولكن السيطرة المناطقية الفاشية في الشمال والخوف من انفجار العنف.. أقنع المحافظين وهدّأ من الموقف الذي كان يريد أن يتخذه موسوليني. فقد كان يخدع الجميع من خلال التأرجح بين اتخاذ موقفي الاعتدال والتطرف. وكان موقفه الإزدواجي وتأرجحه بين الصلابة الفاشية والعصيان المسلّح المشروع.. كان يطبع سياسته بطابع غامض ومبهم.

* في ذلك الحين.. دافعت الكتلة الليبرالية السياسية عن مصالح الصناعيين.. لكنها.. أهملت ملاّكي الأراضي الريفية.. الذين رأوا في الفاشية سلاحاً ضد الاتحادات التجارية الفلاحية. عام ١٩٢٠.. كتب رؤساء أركان القوات المسلحة بياناً قالوا فيه أن الفاشيين هم «قوات فعالة.. لاستخدامها.. في النهاية.. ضد قوى التدمير والمعادين للقومية». أما الليبرالي والشخصية السياسية.. التي هيمنت على العشرين سنة الأولى من القرن العشرين.. ورئيس الوزراء الذي ضمّ فاشيي موسوليني إلى قائمته الانتخابية.. جيوفاني جيوليتي.. فقد قارنهم بالألعاب النارية «إنهم سيحدثون ضوضاء كثيرة.. لكنهم سوف لا يخلفون وراءهم شيئاً سوى الدخان».

على الرغم من الأسطورة التي أحاطت بموضوع زحف الفاشيين على روما.. إلا أنها لم تكن ثورة.. الرواية الفاشية الرسمية تقول بأن (٣٠٠) ألف من ذوي القمصان السود.. زحفوا على العاصمة روما.. فيما مصادر أخرى تقدّر العدد بخمسين ألفا فقط. ويلاحظ سيسون.. بأنه «من الخطأ جداً الافتراض بأن حشداً مثيراً من الناس.. قد شكّل العامل الأكبر في صعود موسوليني إلى السلطة».

وحالما اكتسب درجة الاعتراف والمسؤولية.. اكتسح موسوليني كل شيء أمامه.. وحتى حزبه. ألغى التمثيل النسبي الانتخابي.. وأصدر عام ١٩٢٣ قانوناً انتخابياً جديداً تمّ بموجبه منح ثلثي المقاعد البرلمانية للقائمة الانتخابية التي تحصل على غالبية الأصوات. وعلى هذا الأساس حصل موسوليني وقائمته الرائدة على أغلبية ساحقة من الأصوات عام ١٩٢٤وهي ٦٤ بالمائة من الأصوات.. مما يعني نتيجة برلمانية نسبتها تقارب الثمانين بالمائة من البرلمانيين كانوا الفاشست الجدد.. حيث أن ثلثي عددهم.. لا تتجاوز أعمارهم الأربعين.. ورغم أن عدد أعضائه عند نهاية العقد الثاني.. قد بلغ المليون.. فإن الحزب الفاشي جرى إقصاؤه تدريجياً من السلطة.. وحلّ محله «الموسولينيون».. وفضّل موسوليني الحكم من خلال الحكّام المحليين.. الذين ينبغي أن ينحني أمام سلطاتهم كل الفاشيين.

واليوم يعود موسوليني للحياة:

ونقفز بعجلة الزمان للأمام تاريخيًا وفي عام ٢٠٠٠ أعلنت الحكومة الإيطالية أنها ستعيد إلى أثيوبيا أشهر آثارها.. وهي مسلَّة «أكسيوم» الضخمة التي سرقها جنود موسوليني إبان الاحتلال الإيطالي لأثيوبيا.. قبل أكثر من ستِّين عاماً ونقلوها إلى العاصمة الإيطالية روما.. وكان الديكتاتور الإيطالي قد أمر جنوده عام ١٩٣٧ بعد عامٍ واحد من غزوِ قوَّاته لأثيوبيا واحتلالها بإنزال المسلة وتقطيعها إلى ثلاثة أجزاء وشحنها إلى إيطاليا.. و عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وعدت إيطاليا بإعادة المسلَّة إلى أثيوبيا لتتذكر الوعد بعد أكثر من ٦٠ عاماً.

ملاجئ موسوليني تحت قصره:

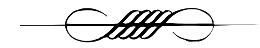
وفي ٢٣ مارس عام ٢٠٠٦ فوجئ العالم بملايين الإيطاليين يتدفقون بصورة رهيبة وغير مسبوقة لمشاهدة ملاجئ موسوليني السرية المحصنة تحت أضواء فيلته.. بعد فتحها أمام الجمهور لأول مرة منذ رحيل الدكتاتور.. كما سمح للزوار بمشاهدة الغرف المحصنة التي لا ينفذ إليها الغاز حيث كان يختبئ.. وكان موسوليني الذي عاش حياة مرفهة كان يستفبل ضيوفه في أعلى فيلته بروما.. بينما يستقبل أعداؤه لينكل بهم تحت الأرض.. وأحياناً لحماية نفسه من غارات جوية محتملة أو هجماتٍ بالغاز.

وفي حينه أنفقت الحكومة الإيطالية ستة ملايين دولار لإعادة ترميم الفيلا بعد عقود من التآكل خلال فترة أهمل فيها هذا الكنز الأثري لأنه كان يذكر الإيطاليين بفترة الحكم الفاشستي.

وقد عاش موسوليني في فيلا «تورلونيا» مع زوجته «راتشيلي» وأطفالهما ما بين عامي ١٩٢٥ – ١٩٤٣ و في وقت بدا قرار إعادة ترميمها على طريقة الفاشستي فإن ذلك يعكس برغم كل شيء افتناناً متنامياً بين الإيطاليين – حتى يومنا هذا – بموسوليني.. ففي محيط هذا المتحف « فيلا موسوليني » على ساحل البحر في قرية « ريكسيونه » حيث كانت العائلة تقضي- العطلة الصيفية تُعرض أفلام الفيديو والأفلام الوثائقية التي تدور حول الديكتاتور.. ويتهافت الزوار على الملابس.. والأعلام التي تحمل الرموز الفاشستية.. كما أن هناك متاجر ومتاحف للأشياء التذكارية الإضافية يجري العمل على افتتاحها في المناطق التي كان يكثر موسوليني التردد عليها على امتداد الساحل الشمالي لإيطاليا تتضمن معروضاتها الأقراص المدمجة لبعض أشهر خطب موسوليني من على شرفته في « ميدافينيزيا » و بالطبع موسوليني كان خطيباً مفوهاً بعُنف.. يأسر المواطنين بفصاحة لسانه !

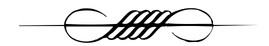
أما في مسقط رأسه بريدابيو.. و بالتزامن مع افتتاح متحف فيلا موسوليني فكان هناك ٤٠٠ متطوِّع يتناوبون منذ مدة على لعب دور حرس الشرف على ضريح موسوليني.. بالإضافة إلى ٦٠٠٠ من ذوي القمصان السود من الفاشستيين الجدد المتعاطفين.. الذين يساهمون بانتظام في إحياء ذكرى وفاة ديكتاتور.. أبداً لن يعود للحياة. وهو ما يجعلنا نختم رحلتنا مع موسوليني بسؤال استفهامي بقدر ما هو استنكاري في نفس الوقت :

وهو لماذا يفتتن الناس دومًا .. وعبر كل مراحل التاريخ بالطُغاة؟



أهم المراجع

- كتاب إيطاليا في عهد موسوليني.. الحياة في ظل الديكتاتورية تأليف : ريتشارد بوسورث الناشر: بنغوين لندن ٢٠٠٦ .
- القاموس السياسي : عبد الرزاق الصافي.
- موسوعة السياسة : عبد الوهاب الكيالي .
- الموسوعة الاشتراكية .



ملف صور

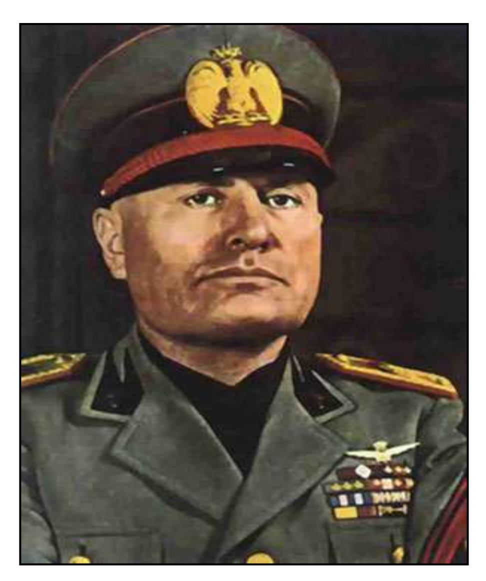




طاووس الطغاة

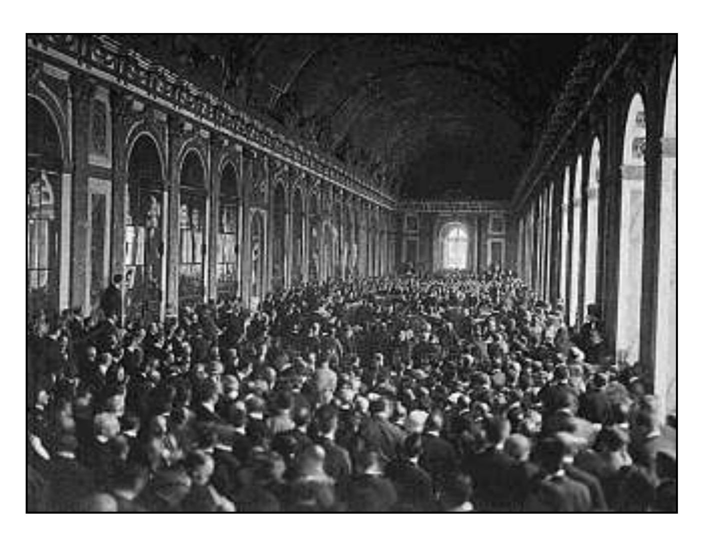
ترى فيما يفكر بكل هذا الدهاء؟







يتابع بمنظاره من بعيد تحركات الأسطول الإيطالي



قاعة المرايا لحظة إعلان هزيمة إيطاليا وألمانيا

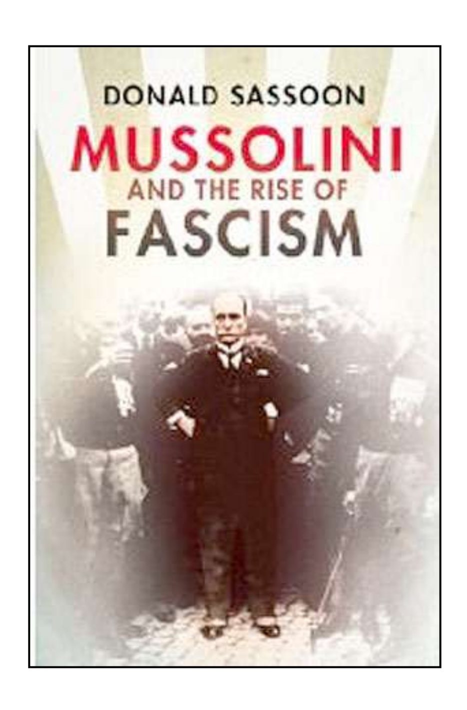


الطغاة عندما يتحالفون

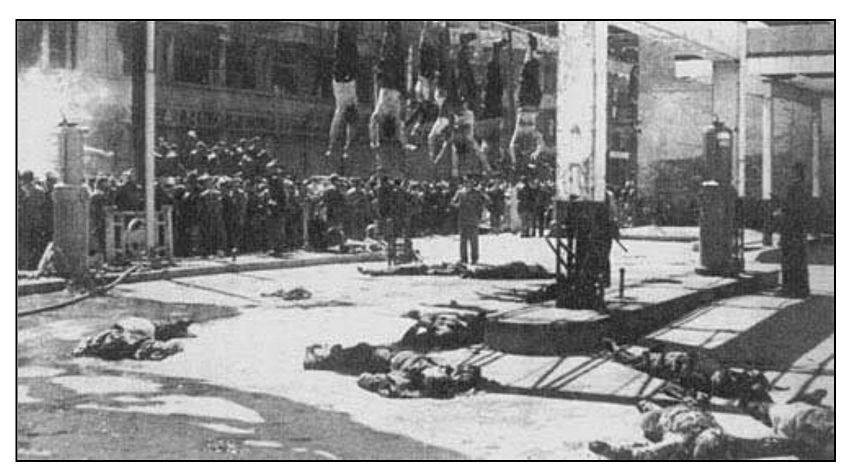




الجماهير تحمل صورته بعد فوزه برئاسة الوزارة



غلاف كتاب سيسونيه عن حياة الطاغية



كتيبة الطاغية وأعوانه بعد تنفيذ حكم الإعدام



مسجى في تابوته لحظة تسلم أسرته للجثمان



العشيقة كلارا



ثلاثتهم معلقون بعد الإعدام



ثم في التوابيت بعد أن مثل بهم



قبر موسوليني



حفيدة موسوليني التي أسست حزبًا جديدًا لمبادئه

فهرس الكتاب